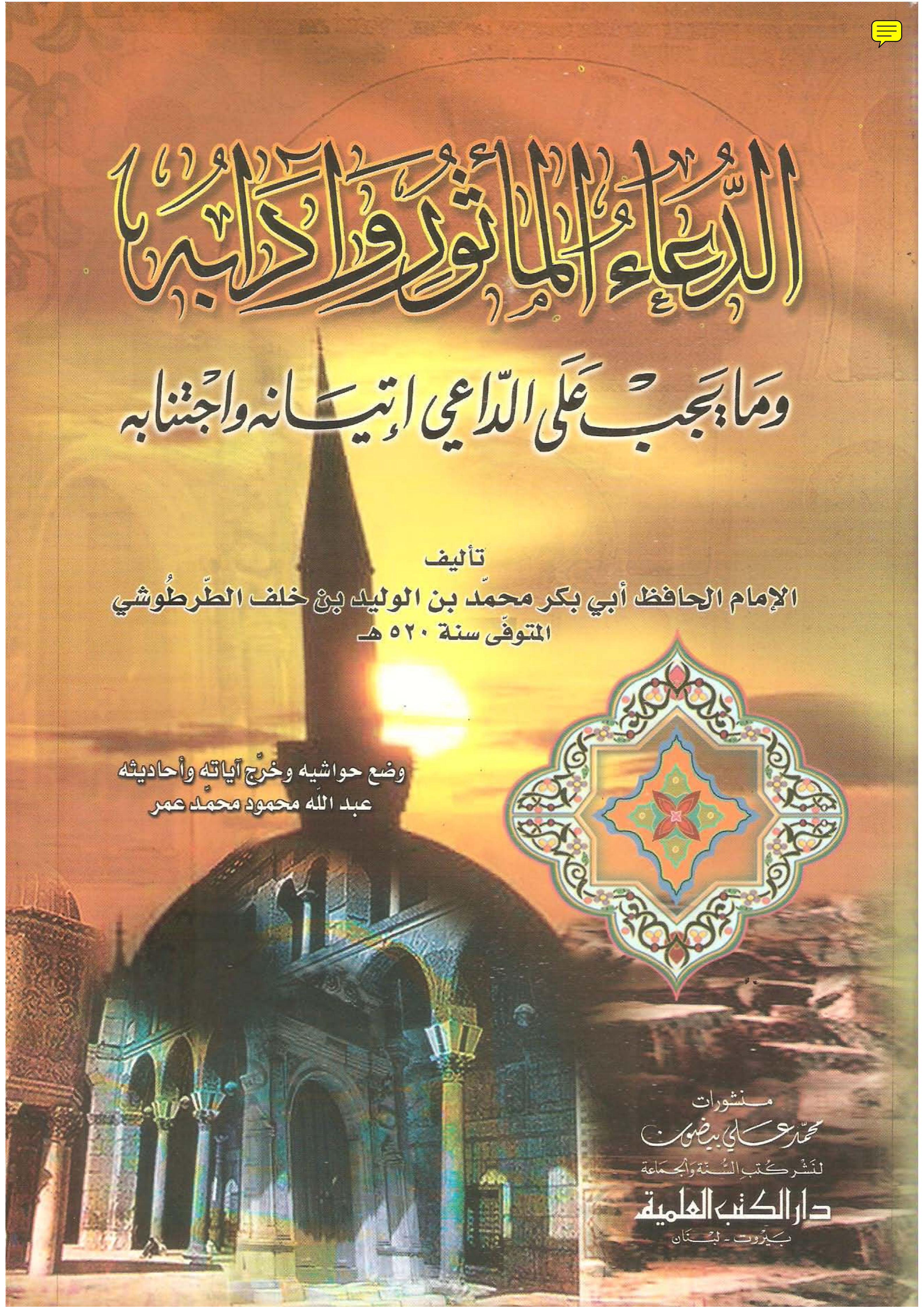


الدُّعاءُ المأثورُ وآدابُه
وما يجب على الدّاعي اتّيانه واجتنابه
تأليف
الإمام الحافظ أبي بكر محمّد بن الوليد بن خلف الطّرطُوشي
المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ
وضع حواشيه وخرّج آياته وأحاديثه
عبد الله محمود محمّد عمر
منشورات
محمّد علي بيضون
لنشر كتب السُّنّة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الدعاء المأثور وآدابه

وما يجب على الداعي اتباعه واجتنابه

تأليف

الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي

المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه

عبد الله محمود محمد عمر

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3549-X



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله، النبي العربي الأمي، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الكرام المنتجبين.

وبعد.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

هذا كتاب «الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الداعي إتيانه واجتنابه» للحافظ أبي بكر الطرطوشي.

وهذا الكتاب يعتبر من أنفع الكتب وأكثرها فائدة في بابه وموضوعه، فهو غني بنصوصه، وفائق في ترتيبه وتبويبه، سهل في أسلوبه، وقد وضعه المؤلف في ١٥ باباً.

الباب الأول في تفسير لفظ الدعاء.

الباب الثاني في الترغيب في الدعاء.

الباب الثالث في آداب الدعاء.

الباب الرابع: في أوقات الدعاء.

الباب الخامس: في الدعاء المستجاب.

الباب السادس: في معرفة اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

الباب السابع: في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾.

الباب الثامن: في فوائد الدعاء.

الباب التاسع: هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضى؟

الباب العاشر: هل الأفضل التصريح بالحاجة، أم التعريض بها؟

الباب الحادي عشر: هل الدعاء في قضاء الحاجة ذكرها أم الثناء على الله وتمجيده؟

الباب الثاني عشر: في اختيار ألفاظ مما تضمنته الأصول الخمسة التي معوّل الإسلام عليها.

الباب الثالث عشر: هل الأفضل إخفاء الدعاء أم الجهر به؟

الباب الرابع عشر: في تكرير الدعاء.

الباب الخامس عشر: في سياق الأدعية التي يحتاج إليها المكلف في يومه وليلته.

وقد قمنا بتخريج جميع الأحاديث النبوية الشريفة والآثار عن الصحابة والتابعين، استناداً إلى كتب الحديث المشهورة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

ترجمة المؤلف[1]

هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الطرطوشي الفهري، الإمام أبو بكر الأندلسي المالكي، المعروف بابن أبي رندقة، ولد سنة ٤٥١هـ في طرطوشة وهي بلدة من آخر بلاد المسلمين بالأندلس.

تفقه على جملة من المشايخ منهم:

١ ـ الإمام أبو الوليد الباجي.

٢ ـ الإمام أبو بكر الشاشي.

٣ ـ أبو إسحاق الشيرازي.

٤ ـ ابن الصباغ.. وغيرهم.

تنقل في مدن الأندلس، ثم في حواضر المشرق، فرحل إلى مكة، وبغداد، وخرج من العراق وتوجه إلى بلاد الشام، واستقر في آخر حياته في الإسكندرية وبقي فيها حتى وفاته سنة ٥٢٠هـ.

مؤلفاته:

ترك الإمام الطرطوشي عدداً كبيراً من المصنفات تزيد على عشرين كتاباً

(١) انظر ترجمته في:
١ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ٦/ ٨٥.
٢ ـ الأنساب للسمعاني ٤/ ٦٢.
٣ ـ معجم البلدان ٤/ ٣٠.
٤ ـ وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٢.
٥ ـ سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٩٠.
٦ ـ شذرات الذهب ٤/ ٦٢.

ورسالة، في فنون العلم المختلفة. منها:

١ ـ بدع الأمور ومحدثاتها.

٢ ـ بر الوالدين.

٣ ـ رسالة العدة عند الكروب والشدة.

٤ ـ سراج الملوك.

٥ ـ سراج الهدى.

٦ ـ شرح رسالة أبي زيد القيرواني.

٧ ـ كتاب الحوادث والبدع.

٨ ـ كتاب في تحريم جبن الروم.

٩ ـ كتاب الفتن.

١٠ ـ كتاب الكبير في مسائل الخلاف.

١١ ـ مختصر تفسير القرآن للثعالبي.

١٢ ـ المختصر في فروع المالكية.

١٣ ـ رسالة في تحريم الغناء واللهو.

١٤ ـ نزهة الإخوان المتحابين في الله.

١٥ ـ الدعاء المأثور ـ وهو الذي بين أيدينا ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تعبَّد خلقَه بالدعاء تفضلاً، ووعدهم بالإجابة تكرماً وتطولاً، وجعله وسيلة لاستدرار ما في خزائنه من النعما، وذريعة لكشف الضر والبلوى، ومقاماً لبث الشكوى.

وصلى الله على محمد المصطفى.

ولما رأيت الدعاء سلاح المؤمنين، وميدان العارفين، ونجوى المحبين، وسلم الطالبين، وقرة عين المشتاقين، وملجأ المظلومين، وكهف الخائفين، وجنة المستضعفين، ألفت كتاباً أوضحت فيها اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، و[إذا] سئل به أعطى.

وجمعت فيه أبواباً تشتمل على محاسن الدعاء وفضائله، وآدابه وفوائده، وبينت أبواباً من أسرار الدعاء، وشروط الإجابة، وأوضحت عدداً من ألفاظه، وأدعية مروية الإجابة مما دعا به الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون، ورسمت في ذلك أبواباً:

الباب الأول: في تفسير لفظ الدعاء.

الباب الثاني: في الترغيب في الدعاء.

الباب الثالث: في آداب الدعاء.

الباب الرابع: في أوقات الدعاء.

الباب الخامس: في الدعاء المستجاب.

الباب السادس: في معرفة اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

الباب السابع: في معنى قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ [البقرة: ١٨٦].

الباب الثامن: في فوائد الدعاء.

الباب التاسع: هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضى؟

الباب العاشر: هل الأفضل التصريح بالحاجة، أم التعريض بها؟

الباب الحادي عشر: هل الدعاء في قضاء الحاجة ذكرها أم الثناء على الله وتمجيده.

الباب الثاني عشر: في اختيار ألفاظ مما تضمنته الأصول الخمسة التي مُعَوَّل الإسلام عليها إذا كان قصدي بذلك الصحة، دون التكثير فإن ذكرت شيئاً من غيرها نبهت عليه.

الباب الثالث عشر: هل الأفضل إخفاء الدعاء أم الجهر به؟.

الباب الرابع عشر: في تكرير الدعاء.

الباب الخامس عشر: في سياق الأدعية التي يحتاج إليها المكلف في يومه وليلته.

وترجمت كل دعاء منها ترجمة تقتضيه وتدل عليه ليسهل تناوله على طالبيه، واقتصرت في ذلك.

الباب الأول

في تفسير لفظ الدعاء

اعلموا أرشدكم الله، أن لفظ الدعاء عام، ثم يتنوع.

* فمنه ما يكون بمعنى التوحيد؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨] أي أفردوه بالتوحيد.

* ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] يقول: لا إله إلا الله، ويدعوه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾ [الأعراف: ١٩٤].

فالدعاء الأول: تسميتهم الأصنام آلهة، كأنه قال: إن الذين تدعون آلهة من دون الله.

والدعاء الثاني: في طلب المنافع: وكشف الضُر من الأصنام.

فجمع الله سبحانه وتعالى بين الأصنام وبني آدم في اسم العبودية.

فدلت الآية على أن من دخل تحت العبودية لا يضر ولا ينفع ولا يستأهل كل ذلك التعظيم، بل هو خلق محتاج، قد لحقه ذل التكوين، مفتقر إلى ما يفتقر إليه من دعاء.

* ومنه ما يكون بمعنى العبادة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: ١١].

* ومنه ما يكون بمعنى الاستعانة؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ

﴿ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] أي: استعينوا بهم.

* ومنه ما يكون بمعنى السؤال والطلب، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أي: اسألوني أعطكم.

* ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١].

* ومنه ما يكون بمعنى القول، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢] وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ [الإسراء: ١١٠].

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

وقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

فيدخل فيه معنيان:

أي: لا ندعو من دون الله رباً، ولا نعبده.

فإذا دعوت الله في قضاء حاجة تأملها في دينك أو دنياك كنت سائلاً، طالباً، فإذا دعوته أن يغفر ذنبك كنت مستغفراً، والجميع دعاء.

وهذا أيضاً كما تتنوع أنواع العطية.

فيقال في العين: صدقة، وهبة.

وفي المنافع: عارية.

وفي الدَّر: منحة.

وفي العين المؤجلة: قرض.

وقالت القدرية: الدعاء كله صنف واحد، وإنما هو تعبد ليس تحته طلب، يريدون بذلك جحود الشفاعة وترك نصوص القرآن، حيث لم يعتدل عندهم أن يدعو الله عبدان فيجيب أحدهما دون الآخر، وهذا خطأ.

والدليل على أن الدعاء طلب وطلاب: أن الله سبحانه أمر بالدعاء وأن

يطلب منه ما في خزائنه، ووعد بالإجابة نعمة منه يتفضل بها على من يشاء من عباده.

ألا ترى أن كل من دعا الله تعالى من أنبيائه ورسله قصد حاجته وسماها، ونزل القرآن عليهم بإجابة ما سألوا؟.

قال الله سبحانه لموسى وهارون: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] وزكريا دعا الله ربه في الولد فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فقال الله سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال لموسى: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].

ولو لم يكن مع الدعاء طلب ما سمى الداعي شيئاً بعينه، ولا وقع عليه اسم مجاب إذا أعطى سؤله، وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

فأثبت القرآن لله سبحانه، اسم المجيب، وللداعي اسم المجاب.

ـ وهو ملجأ الأنبياء والأولياء.

قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الصافات: ٧٥، ٧٦] وقال: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

وقال سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦].

وقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

الباب الثاني

في فضل الدعاء والترغيب فيه

قال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] يعني: ما يصنع بكم، وأي مقدار لكم، لولا توحيدكم وعبادتكم لله تعالى؟.

وعن أنس قال: ما يصنع بكم لولا عبادتكم وطاعتكم، أي هو خلقكم لعبادته، نظيره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وعن ابن عباس: أخبر الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه للمؤمنين.

ويقال: لولا دعاؤكم إليه في الشدائد، بيانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وقوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ويقال: ما يعبأ ويغفر لكم لولا دعاؤكم معه آلهة وشركاء.

بيانه قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

ويقال: ما خلقتكم وبي حاجة إليكم إلا أن تسألوني فأغفر لكم وأعطيكم.

ويقال: ما يعبأ بكم لولا دعاؤكم، فما خلقكم إلا ليدعوكم إلى الإيمان والطاعة له.

واتصال هذه اللفظة تهيئة الشيء.

يقال: عبأت الجيش وعبأت الطيب أعبؤه عبءاً، أي: هيأته وعملته.

قال الشاعر:

كأن بنحره وبعارضيه عبيراً بات يعبؤه عروس

ويقال: ما يعبأ فلان بهذا الأمر، أي: لا يحتاج إليه.

وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال بعض المفسرين: يعني تاركي الدعاء، وهذا نهاية في الكرم، وغاية في الإفضال، أنه جعل إمساكك عن دعائه ومسألته التي فيها خلاصك، وصلاح دينك ودنياك اعتداء منك.

وأنشدني بعضهم:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

فشتان بين من يغضب إن سألته، وبين من يغضب إن لم تسأله.

وقد قال بعض الشعراء:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما عودتني الطلبا

وهذا كما قال أيضاً:

وأخفيت حاجاتي من الناس كلهم ولكنها لله تبدي وتظهرُ

لمن لا يرد السائلين بخيبة ويدنو من الداعي ويعطي ويكثرُ

وعن هذا قال سلفنا رضوان الله عليهم: ما من أحد إلا ويريدك لنفسه، فصدّيقك يريدك للاستمتاع بحديثك والانتفاع بك، والأب يريدك لراحة يجدها بقربك، وكشف غمة تلحقه عندك، وأستاذك ومعلمك يريدك لينتفع بك في الآخرة لثواب ما علمك، ولذة يجدها في الدنيا بتخريجك من ظلمات الجهل إلى أنوار المعرفة.

وعلى هذا النمط يجري مراد الخلائق بينهم، إلا الله سبحانه، فإنه يريدك [ليغفر لك] قال الله سبحانه: ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنعام: ٤٣].

وهذا استعطاف للخلق في الدعاء.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة»(١)، دل الأثر علي تقديم مقام الداعي على مقام العابد؛ لأن فيه تذللاً، وإظهار فاقة، كما قيل: مقام ذليل بين يدي ملك عزيز.

وأصل التعبد؛ التذلل، وعلى هذا كل داع عابد، وليس كل عابد داعياً.

وروى أبو داود في السنن: أن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»(٢) قال ربكم: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وسنتكلم عن أشرف المقامين بعد هذا إن شاء الله تعالى.

وروي أن النبي ﷺ قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له، من يسألني فأعطيه؟»(٣).

هذا غاية في الترغيب في الدعاء، ونهاية في استعطاف قلوب الخلائق في الرغبة إليه، واستدرار ما في خزائنه.

وروي أن عمر بن عبد العزيز خرج في يوم الفطر إلى المصلى، فلما فرغ من صلاته قال: اللهم ارحمني فإنك قلت: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث ٣٣٧١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ٩٤.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٤٧٩، والترمذي حديث ٣٢٤٧، ٣٣٧٢، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ١٢٠.

(٣) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في التهجد باب ١٤، والتوحيد باب ٣٥، ومسلم في المسافرين حديث ١٦٧ـ ١٧٠، وأبو داود في التطوع باب ٢١، والسنة باب ١٩، والترمذي في الصلاة باب ٢١١، والدعوات باب ٧٨، وابن ماجه في الإقامة باب ١٨٢، والدارمي في الصلاة باب ١٦٨، والاستئذان باب ٥٣، ومالك في القرآن باب ٣٠، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥، ٢٦٤، ٢٦٧، ٤١٩، ٤٨٧، ٥٠٤، ٥٢١، ٤/ ١٦، ٦/ ٢١٧، ٢١٨.

فإن لم أكُ محسناً فأنا مؤمن وقد قلت: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فإن لم أستوجب ذلك فأنا شيء، وقد قلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وإن لم استحق شيئاً من ذلك فأنا مصاب حيث نفيت من رحمتك، وقد أظلمت نهاري وأسهرت ليلي وقد قلت: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وقال مطرف بن عبد الله وهو من سادات التابعين، يُضرب المثل بعقله: نظرت في هذا الأمر من أين هو؟ فإذا هو من عند الله سبحانه، ثم نظرت على من تمامه؟ فإذا هو على الله سبحانه، ثم نظرت ما ملاكه؟ فإذا هو الدعاء، ثم نظرت في ابن آدم فإذا هو ملقى بين ربه وبين الشيطان، فإذا أراد الله به خيراً اجتره إليه بعصمته، وإلا خلى بينه وبين الشيطان.

وقال زياد بن أبي زياد: أنا من أن أمنع الدعاء أكثر خوفاً مني من أن أمنع الإجابة.

وكان يقول: الإذن في الدعاء خير من العطاء.

وقال الكناني لم يفتح الله لسان المؤمنين بالمعذرة إلا بفتح باب من المغفرة.

وقال قتادة: لما نادى يونس في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قالت الملائكة: صوت معروف في السماء أعرف منه في الأرض، وهو بمعنى قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ولما نادى فرعون من الغرق: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قالت الملائكة: صوت منكر من أهل السماء.

وقال سلمان: إذا كان العبد دعا في السراء ونزلت به الضراء فدعا، فتقول

الملائكة: يا رب هذا صوت معروف قد عرفناه، فيستغفرون له، وإذا لم يكن دعا في السراء فنزلت به الضراء، فتقول الملائكة: صوت منكر ما سمعناه، فلا يستغفرون.

وقال سفيان بن عيينة: لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله سبحانه أجاب دعاء شر الخلق إبليس إذ قال: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ [الحجر: ٣٦، ٣٨].

وإنما سأل اللعين النظرة إلى يوم الوقت المعلوم طمعاً في الإجابة لئلا يذوق الموت، فأُنظِر إلى الوقت المعلوم، يعني أجله السابق في علم الله عز وجل.

الباب الثالث

في آداب الدعاء لله

اعلموا - أرشدكم الله - أن للدعاء آداباً مشروعة، وشروطاً مفروضة، فمن وَفَّى وُفِّي له، ومن لزم تلك السيرة على شروط الآداب أو شك نيل ما سأل، ومن أخل بالأدب استحق ثلاث خلال:

المقت، والبعد، والحرمان.

وها أنا أتلو عليك آداب الدعاء حرفاً حرفاً، وأذكر في الباب شروطه فصلاً فصلاً.

* **فمن آدابه**: أن تعلم أن سيرة الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين، [إن] أرادوا استقصاء حاجة عند مولاهم، أن يبادروا قبل السؤال فيقوموا بين يدي ربهم، فيصفوا أقدامهم، ويبسطوا أكفهم، ويرسلوا دموعهم على خدودهم، فيبدؤوا بالتوبة من معاصيهم، والتنصل من مخالفتهم، ويستبطنوا الخشوع في قلوبهم، ويتمسكنوا، ويستيقنوا بين يدي من وقفوا، ولمناجاة من تعرضوا.

فإذا وقفت بين يدي الله تعالى فكن كأنك قتلت أهل السموات، وأهل الأرضين.

فيبدؤون بالثناء على معبودهم، وتقديسه، وتنزيهه، وتعظيمه، والثناء عليه بما هو أهله، ثم يرغبون في الدعاء.

هذا إبراهيم خليل الله، عليه السلام، لما أراد مناجاة مولاه في استقضاء حوائجه، واستدرار ما في خزائنه، بدأ بالثناء على ربه قبل سؤاله، فبدأ بالتخليق والهداية فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ

فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٨، ٨٢].

فأثنى على الله سبحانه بخمسة أثنية؛ أنه الخالق الهادي، المطعم المسقي، الشافي من الأوصاب، والمحيي والمميت، والغافر.

ثم سأل خمس حوائج: العلم والحكمة، وصلاح الخاتمة، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٣، ٨٧].

فقضى الله سبحانه حوائجه الأربع، واعتذر في الخامسة، فقال في الأولى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤] وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: [يوسف: ١٠١] ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال في سؤاله الثناء في الأمم: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات: ١٠٨].

وقال في قوله: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٥] ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣].

واعتذر إليه في سؤال المغفرة لأبيه بآية: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقد شرف الله عز وجل هذه الأمة بمثلها، فأنزل عليهم فاتحة الكتاب، أولها ثناء وتمجيد إلى قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وسائرها دعاء.

وإنا لنرجو أن يشرع لنا مثل ما شرع لإبراهيم، أن يغفر لنا كما غفر له.

وهذا موسى قدم الثناء على الله فقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وروى البخاري في حديث الشفاعة عن النبي ﷺ أن الخلائق تسأل الأنبياء، عليهم السلام، الشفاعة إلى ربها في عرصات القيامة، فكل واحد يذكر ذنبه

ويقول: اذهبوا إلى غيري، قال: فأقول أنا لها فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما يشاء، ثم يقال: ارفع رأسك، وسل تعطه وقل تسمع، واشفع تشفع، فيلهمني محامد أحمده بها، فأحمده بتلك المحامد»[١].

وفي لفظ آخر: «فأحمد ربي بتحميد يعلمني»[٢].

فقدم بين يدي الشفاعة تحميداً وتمجيداً.

وروى أبو داود عن فضالة بن عبيد، قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته، لم يمجد الله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال: عجَّل هذا، ثم دعاه، فقال له أو لغيره:

«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء»[٣].

* **ومن آدابه**: أن يكون راغباً، راهباً، متذللاً، خاشعاً، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [**الأنبياء**: ٩٠].

أي رغبة فيما عندنا ورهبة.

* **ومن آدابه**: ما روي أن رجلاً قال لجعفر الصادق: علمني دعاء أرجو إجابته، قال: أكثر من حمد الله سبحانه، وادعه بما شئت.

فقال الرجل: وما الحمد من الدعاء؟.

---

(١) رُوِي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٩، ٢٤، ٣٦، والرقاق باب ٥١، وأحاديث الأنبياء باب ٣، وتفسير سورة ٢، باب ١، وسورة ١٧، باب ٥، ومسلم في الإيمان حديث ٣٢٢، ٣٢٧، والترمذي في تفسير سورة ١٧، باب ١٩، والقيامة باب ١٥، وابن ماجه في الزهد باب ٣٧، والدارمي في المقدمة باب ٨، وأحمد في المسند ١/ ٥، ٢٨٢، ٢٩٦، ٢/ ٤٣٦، ٣/ ١١٦، ١٤٤، ١٧٨، ٢٤٤، ٢٤٨.

(٢) انظر تخريج الحديث السابق.

(٣) أخرجه بنحوه أبو داود في الوتر باب ٢٣، والترمذي حديث ٣٤٧٧، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٣٠، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٦٥.

فقال: إن جميع من في الأرض من المسلمين يدعون ليلهم ونهارهم أن يستجيب للحامدين، فما ظنك بمن يشفع له عند الله جميع المسلمين؟.

قال: وكيف ذلك.

قال: أليس يقولون في كل ركعة يركعونها: سمع الله لمن حمده؟.

فعليك بحمد الله - عز وجل - يستجب الله دعاءك.

* **ومن آدابه**: أن تسأل بعزم وجد وحزم.

روى مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال: «لا يقل الداعي في دعائه: اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له»[(١)].

رواه مسلم في صحيحه بألفاظ مختلفة، قال في بعضها: «فإن الله لا مستكره له»[(٢)] وفي بعضها: «فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه»[(٣)] والمعنى واحد.

يعني أن الله تعالى لا يُكرَه على الإعطاء، فإن شاء أعطى، وإن شاء منع.

* **ومن آدابه**: أن يقوي رجاءه في مولاه، ولا يقنط من رحمة الله، وإن تأخرت الإجابة، فلا تستبطئ ما سألت، فإن لكل شيء أجلاً، والدعاء لا يغلب ما سبق في المعلوم.

وروى البخاري، وأبو داود، أن النبي ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي»[(٤)].

* **ومن آدابه**: أن تسأل للمؤمنين مع نفسك، قال الله سبحانه: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ

---

(١) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في التوحيد باب ٣١، والدعوات باب ٢١، ومسلم في الذكر حديث ٨، وأبو داود في الوتر باب ٢٣، والترمذي في الدعوات باب ٧٧، ومالك في القرآن حديث ٢٨، وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣، ٣١٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٦، ٥٠٠، ٥٣٠، ٣/ ١٠١.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ البخاري في التوحيد باب ٣١، ومسلم في الذكر حديث ٧، وأحمد في المسند ٢/ ٤٦٤، ٣/ ١٠١.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في الذكر حديث ٨، وأحمد في المسند ٢/ ٤٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٢٢، ومسلم في الذكر حديث ٩٠، ٩١، وأبو دادو في الوتر باب ٢٣، وابن ماجه في الدعاء باب ٧، ومالك في القرآن حديث ٢٩، وأحمد في المسند ٢/ ٤٨٧.

لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

* **ومن آدابه:** أن تبدأ بتوحيده، كما فعل ذو النون: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ناداه بالتوحيد، ثم نزهه عن النقائص والظلم بالتسبيح، ثم باء على نفسه بالظلم، اعترافاً واستحقاقاً، قال الله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

* **ومن آدابه:** الإلحاح في الدعاء، يروى أن النبي ﷺ قال: «ألظوا بـ يا ذا الجلال والإكرام»(١)، وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان، فيعرض عنه، ثم يدعوه فيعرض عنه، ثم يدعوه فيقول الله لملائكته: أبى عبدي أن يدعو غيري، وقد استجبت له»(٢).

* **ومن آدابه:** إخفاؤه سراً، فلا يسمعه غير من يناجيه، قال الله سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

وذكر سليمان عبداً صالحاً ورضي قوله فقال: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم: ١، ٢].

فكان حقيقاً بالإجابة إذ وهب له يحيى الذي لم يعص قط، ولا هَمَّ بمعصية.

ويقال: أخفى دعاءه خالياً في جوف الليل، وناداه سراً في نفسه، وإن الله يعلم القلب التقي، ويسمع الصوت الخفي.

وعن هذا قال الحسن: كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، ولا يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً فيما بينهم وبين ربهم...

ومن صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع الناس وهم يصعدون في ثنية، فجعل رجل كلما علا ثنية نادى: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «اربعوا على أنفسكم،

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٩١، وأحمد في المسند ٤/ ١٧٧.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٢٠٨، والقشيري في الرسالة القشيرية ٢/ ٥٢٩.

إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً، والذي تدعونه أقرب إليكم من عنق راحلة أحدكم»[١].

وفي لفظ آخر: «إنكم تدعون سميعاً بصيراً»[٢].

ومعنى: أربعوا: كفوا ومنه المثل السائر: حدِّث حديثين امرأةً؛ فإن أبت فأربعه؟ أي: كف.

وقال عقبة: دعوة سر أفضل من سبعين دعوة علانية.

* **ومن آدابه**: ما ذكر الله سبحانه في كتابه، قال سبحانه: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **[الإسراء: ١١٠]** ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ **[الأعراف: ١٨٠]** فيستحب للداعي أن يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى، ويسمي حاجته.

وروي أن الرسول ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أدعوك بما دعاك به الذي عنده علم من الكتاب... ويسمي حاجته»[٣].

* **ومن آدابه**: إذا سألت فاسأل كثيراً، وارفع يديك في الدعاء، فقد قال رسول الله ﷺ: إذا سأل أحدكم فليعظم المسألة، فإنه لا يتعاظم على الله شيء، وإن ربكم كريم يستحي من العبد إذا مدَّ يده إليه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء»[٤].

وقد سأل بعض المخلوقين حاجة فقال السائل: أتيتكم في حاجة، وهي صغيرة، فغضب المسؤول وقال: اطلب لها رجلاً صغيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٣١، والمغازي باب ٣٨، والدعوات باب ٥١، والقدر باب ٧، والتوحيد باب ٩، وأبو داود في الوتر باب ٢٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٤، ٤٠٢، ٤١٨.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) القسم الأول من الحديث روي بلفظ: «إذا سألتم فأعظموا الرغبة» أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٨٨، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤/ ١٥٠. والقسم الثاني من الحديث روي بلفظ: «إن الله يستحيي أن يبسط العبد يديه فيهما أخيراً فيردهما خائبتين» أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣١٦٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٩.

وأما صفة رفعهما، فروى البخاري بإسناده أن النبي ﷺ رفع يديه حتى بان بياض إبطيه، قال ابن عمر: فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»(١).

وهكذا روى أبو موسى، وأنس «رفع يديه حتى بان بياض إبطيه».

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يرفع يديه حين يدعو حتى إني لأهتم مما يرفعهما»(٢).

وقد ذم الله سبحانه قوماً لا يبسطون أيديهم له فقال: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] جاء في التفسير: لا يرفعونها إلينا في الدعاء.

وقال أبو الدرداء: ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل بالأغلال.

ومن مصنف عبد الرزاق: الابتهال هكذا، وبسط يديه وظهورهما إلى وجهه، والدعاء هكذا؛ ورفع يديه تحت لحيته، والإخلاص هكذا يشير بإصبعه.

وقال عروة بن الزبير: دعا رسول الله ﷺ باسطاً يديه قبل وجهه(٣).

وقال طاووس: دعا النبي ﷺ على قوم يديه فرفع فضمهما جداً إلى السماء(٤).

فإن قال قائل: إن الحق سبحانه مقدس عن الجهات، وإنما هذا محل، قلنا: تعبد الحق سبحانه الخلائق برفع الأكف نحوه، كما تعبدهم باستقبال الكعبة بوجوههم في الصلاة، واستقبال الأرض، وإلصاق الجبين والأنف بالأرض، مع تنزيهه سبحانه عن اختصاصه بالبيت، أو بمحل السجود من الأرض، كأن السماء قبلة الدعاء.

وينقدح فيه أن يقال: إن السماء مهبط الرزق والوحي، وموضع الرحمة

---

(١) أخرجه البخاري في الأحكام باب ٣٥، والجزية باب ١١، والمغازي باب ٥٨، والدعوات باب ٢٢، والنسائي في القضاة باب ١٧، وأحمد في المسند ٢/ ١٥١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٢٥.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٩.

(٤) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

والبركة، على أن المطر منها ينزل إلى الأرض، فيخرج من الأرض بركاتها، وهي مسكن الملأ الأعلى والمقربين من الملائكة، وإذا قضى الله أمراً، خيراً أو شراً، فإنما يوحيه إلى الملائكة، ويلقيه إليهم، ثم كذلك ينزل إلى الأرض فتعرفه الأنبياء والرسل وأهل الأرض من ناحية الملائكة.

وكذلك أعمال بني آدم إذا رُفعت إلى الله ـ سبحانه ـ عرفت الملائكة والحفظة ما قُبل منها مما رد.

وكذلك إذا غفر الله لعبد، أو أشقاه عرَّف الله بذلك ملائكته، وأشهدهم عليه، كما روي في غير خبر، وفيها غير واحد من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على ما أخبر النبي ﷺ أنه رآهم ليلة المعراج.

وفيها الشهداء، والملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة عين، ويشفعون لأهل الأرض، وفيها الجنة التي هي غاية الآملين.

فلما كانت معدناً لهذه الأمور العظام، ومعرفة القضاء والقدر، وهي جهة لاستقرار الخلق، وفيها الدار الأخرى انصرفت الهمم إليها، وتوفرت الدواعي نحوها.

ولقد أصاب القاضي ابن قريعة لما صلى ليلة في دار الوزير المهلبي وأبو أسحاق الصابي يرمقه، فأحسّ به القاضي، فلما سلم قال له القاضي: ما لك ترمقني يا أخا الصابئة؟ أحننت إلى الشريعة الصافية؟ قال: بل أخذت عليك فيما يؤخذ على مثلك، قال: وما هو؟ قال: ترفع يديك نحو السماء، وتخفض جبهتك على الأرض، فمطلوبك أين هو؟.

فقال: إنا إنما نرفع أيدينا إلى مطالع أرزاقنا، ونخفض جباهنا عن مصارع أجسادنا، نستدعي بالأول أرزاقنا، ونستدفع بالثاني شر مصارعنا، ألم تسمع الله سبحانه يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٥].

فقال المهلبي: ما أظن أن الله خلق في عصرك مثلك.

* **ومن آدابه**: أكل الحلال، ولعل هذا من شروطه، فإن الرسول ﷺ يقول

لسعد: «يا سعد، أطب مطعمك تستجب دعوتك».

وكان يقول: «الدعاء مفتاح الحاجة، ولقم الحلال أسنانه».

وقال يوسف بن أسباط: بلغنا أن دعاء العبد يحبس عن السماء بسوء الطعمة.

ومن آدابه: إذا سألت الله تعالى في شيء فالزم التضرع والاستكانة، واعزل نفسك عن القدرة والتعاظم، ألا ترى إلى قول يعقوب، عليه السلام: ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٧]فتم له ما أراد، وقال يوسف، عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٣، ٣٤] أي سميع الدعاء للأسراء والمقاصد، فتم له أمره حين اعترف بالافتقار، وأخرج نفسه من الحول والقوة، وفوض الأمر إلى ربه.

ثم تأمل قول الآخرين: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] فسألوه، ولم يفوضوا أمرهم إليه لا قبل المسألة، ولا بعدها ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣] ولم يتم لهم الأمر.

وقول الآخرين: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠] وقول ابن آدم حين حمل الأمانة بغير افتقار ولا استكانة ولا تفويض، في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] فلم يتم له أمره، وعيَّره الله بالجهل والظلم فقال: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

أو لا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] ففوض القدرة إلى الله عز وجل، وابرأ من الحول والقوة، تنجح مساعيك إن شاء الله.

وماذا يغني التعاطي عن الذي ليس بيده من الأمر شيء؟.

* **ومن آدابه**: ما قال أبو سليمان الداراني؛ قال: إذا سألت الله حاجة فابدأ

بالصلاة على النبي - ﷺ - ثم ادع بما شئت، واختم بالصلاة عليه، فإن الله سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما.

* **ومن آدابه**: أن تقدم بين يدي الدعاء عملاً صالحاً من صلاة، أو صدقة، ونحوهما، على ما بيَّنا.

وهذا كما شرع لنا في الاستسقاء أن يؤمر الناس قبله بالصلاة، والصيام، والصدقة، والأعمال الزاكية، ثم يخرجون للاستسقاء، وهذه سيرة السلف الصالح.

قال عبد الله بن عمر: إذا أردت أن تدعو فقدم صدقة، أو صلاة، أو خيراً، ثم ادع بما شئت.

وقال وهب بن منبه: مثل الذي يدعو بغير عمل كالذي يرمي بغير وتر.

الباب الرابع

في أوقات الإجابة

قال الله سبحانه عن آل يعقوب: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ **[يوسف: ٩٧، ٩٨]**.

إنه إنما أخر الدعاء إلى السحر، فروي أنه أقام في السحر يدعو، وقام بنوه من ورائه يؤمنون على دعائه، فأوحى الله إليه: إني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء.

وروى مالك، ومسلم، والبخاري وغيرهم، أن النبي ﷺ، قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى الثلث الأخير من الليل، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[١].

- ومنها؛ يوم الجمعة، وقد روى مالك والجماعة أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، قيل: فإن دعا فيها منافق؟ قال: إن المنافق لا يوفق لها»[٢].

* ومنها أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت الشمس يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة»[٣].

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في الجمعة حديث ١٧، ١٨، وأبو داود حديث ١٠٤٦، والترمذي حديث ٤٩١، والنسائي ٣/ ٩٠، ١١٤، ١١٥، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠١، ٤١٨، ٤٨٩، ٥٠٤، ٥١٢، ٥٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٢٥١، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧٨.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

وقد تناقش العلماء في هذه الساعة، فقال قوم: إنها عند طلوع الشمس، وقال بعضهم: عند الزوال، وقال آخرون مع الأذان، وقيل: إذا صعد الخطيب المنبر، فأخذ في الخطبة، وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة.

وقال معظم العلماء، وأهل الأخبار: إنها بعد العصر.

ثم اختلف هؤلاء، فقال بعضهم: هي وقت الأصيل، وقال بعضهم: آخر ساعات النهار، وهذا القول في نفسي أقوى، وإن كان القياس لا يدخل في شيء من ذلك.

والدليل عليه أشياء، منها:

حديث رواه مسلم في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»(١).

وهذا يفيدك عليه الظن في شرف هذه الساعة.

- ومنها، مناظرة جرت بين أبي هريرة، وكعب رواه مالك والجماعة.

فقال كعب: إنها في آخر ساعة، وقد سمعت النبي ﷺ، يقول: «لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة»(٢).

فقال كعب: ألم يقل النبي ﷺ: «من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة» قال: نعم، قال: فهو ذلك(٣).

ولعل هذا فيه توقيت عند كعب والله أعلم، ويشهد لها حديث روي عن فاطمة رضي الله عنها، لم نجده في الصحيح، أنها كانت تأمر خادمها قبيل

(١) أخرجه مسلم في المنافقين حديث ٢٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٧.
(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨١.
(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٨١، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٨٧.

المغرب فتؤذنها بسقوطها، فتأخذ حينئذٍ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب.

والخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة، وتأثره عن أبيها النبي ﷺ.

ـ ومنها: أن يتنبه لها طالبها، ومن يهمه أمرها، ويرجو بركتها أن يكون قعوده منتظراً للصلاة، على نص الحديث، وهذا يقتضي أن يكون على طهارة.

ـ ومنها: أن هذا اليوم شرفه الله على سائر الأيام، وجعله لأمته، وخصهم فيه بالاجتماع، والخطبة، والموعظة الحسنة، فيليق بمنصبه أن يخص آخره بهذه الخصلة الشريفة، كما يقول في الصلوات، فإنه يستجيب الدعاء عند فراغها، على ما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

وهكذا كان يقول كعب: إن هذه رحمة من الله للقائمين بحق ذلك اليوم.

وقد قال فيه بعض العلماء: إنها مبهمة في جميع ذلك اليوم، حكمة من الله سبحانه، لتتوفر الدواعي على مراقبتها، ولهذا السر أخفى ليلة القدر في العشر الأواخر.

وقيل: إنها تنتقل في ساعات يوم الجمعة، كتنقل ليلة القدر، وهي عندنا أضعف الأقوال، إذ لم يثبت في ليلة القدر شيء صحيح يحتج بمثله.

ـ ومنها: ما روى النسائي في السنن، عن أبي هريرة قال: يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟.

قال: «جوف الليل الأدبر، ودبر الصلوات المكتوبات»[1].

ـ ومنها: ما روى أبو داود في السنن، قال: الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد[2].

وروى غيره قالوا: يا رسول الله فما نقول؟.

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٧٨، والنسائي في المواقيت باب ٣٥، ٤٠، وعمل اليوم والليل ٥٢.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٥، ٣٧، والجهاد باب ٣٩، والترمذي في الدعوات باب ١٢٨، وأحمد في المسند ٣/١١٩، ١٥٥، ٢٢٥، ٢٥٤.

قال: «قولوا اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة»[(١)].

وروى النسائي عن أنس قال: إذا أقيمت الصلاة فُتحت أبواب السماء، فاستجيب الدعاء[(٢)].

وقال سهل بن سعد: ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقل داعٍ ترد عليه دعوته: حضرة النداء بالصلاة، وحضرة الصف في سبيل الله[(٣)].

زاد أبو هريرة: وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلاة المكتوبة، فإن أبواب السماء تفتح عند ذلك.

ومن غير الأصول الخمس روى أن أبواب السماء تفتح بخمس: نزول الغيث، ولقاء الزحف، والنداء بالصلاة، والبكاء من خشية الله، وقراءة القرآن.

روي أن النبي ﷺ قال: «ثنتان لا تردان، أو قلما تردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً، وتحت المطر»[(٤)].

روى النسائي أيضاً أن رجلاً قال: يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا، فقال: «قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تعط»[(٥)].

وحسن بالذاكر وبمن ينتظر من مولاه قضاء حاجة أن يلقي ببصره نحو السماء، قال الله سبحانه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ **[البقرة: ١٤٤]**.

وكان النبي ﷺ يكره موافقة اليهود في الصلاة إلى بيت المقدس، ويحب التوجه إلى الكعبة، وكان ينقلب إلى السماء رجاء الإجابة، فأنزل الله سبحانه عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠١، وابن ماجه في الدعاء باب ١٤.
(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٥٢، والديلمي في مسند الفردوس ٢/ ٢٢٥.
(٣) أخرجه مالك في النداء حديث ٧.
(٤) أخرجه أبو داود حديث ٢٥٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٣٦٠، ٤٠٠، والحاكم في المستدرك ١/ ١٩٨، والطبراني في المعجم الكبير ٦/ ١٦٦.
(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٣٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٣.

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ودلت الآية على منزلته وعظم مرتبته، حيث أُعطى المنى من قبل أن يبتهل بالدعاء.

ـ ومنها: ليلة القدر، فإنها مظنة الخيرات، وإجابة الدعوات، ومضاعفة الأعمال، وحط الأحمال الثقال، والعمل فيها خير من ألف من مثله في سائرها، قال الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣].

يعني ليس فيها ليلة القدر، وأقوى الأقوال فيها أنها ليلة سبع وعشرين.

وكان ابن عباس، وهو حبر الأمة، وترجمان القرآن يختار هذا القول، ويستدل عليه بأن السورة ثلاثون كلمة، والكلمة السابعة والعشرون قوله سبحانه: ﴿هِيَ﴾.

ومنها: دعاء يوم عرفة، فروى مالك في الموطأ أنه عليه الصلاة والسلام، قال: «ما رئي الشيطان أحقر، ولا أصغر منه يوم عرفة، وذلك لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام، إلا ما رأى يوم بدر».

قيل: يا رسول الله، وما رأى يوم بدر؟.

قال: أما إنه رأى يوم بدر جبريل، عليه السلام، وهو يزع الملائكة[1].

وهذا عام في سائر أقطار الدنيا، لا يختص بعرفة نفسها.

ولم يزل العلماء والصالحون يحلون بربهم عشية عرفة، ويرتادون مواضع الخلوات، ويدعون ربهم خاشعين مخبتين، يرجون بركة الدعاء فيها.

ـ ومنها: ما روى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ما العمل في أيام أفضل منه في هذه ـ يعني أيام العشر، قيل: ولا الجهاد، قال: ولا الجهاد،

(١) أخرجه مالك في الحج حديث ٢٤٥، بلفظ: «ما رئي الشيطان يوماً، هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة....».
وأخرجه أيضاً السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٢٨، والقرطبي في تفسيره ٢/ ٤١٩، ٨/ ٢٧، ١٣/ ١٦٨.

إلا رجل يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء»[١].

- وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «نُهيت أن أقرأ القرآن راكعاً، أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء، فإنه قمن أن يستجاب لكم»[٢].

فأقرب القرابين إلى القبول؛ الذكر في السجود، لأنه محل القُرْبة، وقد وعد الله بقبوله فقال: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

والذي يختم به الباب أنه ليس بفقيه من كان له إلى الله حاجة ثم نام عنها في الأسحار.

(١) أخرجه البخاري في العيدين باب ١١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/٢٥٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٤// ٢٨٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٤. وابن حجر في فتح الباري ٢/ ٤٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٢٠٧، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٨، والنسائي في التطبيق باب ٧ ٦٢، والدارمي في الصلاة باب ٧٧، وأحمد في المسند ١/ ١٥٥، ٢١٩.

الباب الخامس

في الدعاء المستجاب

روى أبو داود أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم»(١).

«وأسرع الدعاء إجابة؛ دعوة غائب لغائب»(٢).

وروى البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٣).

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

دعاء المظلوم مستجاب على كل حال، لأن المظلوم إنما يطلب من الله حقه، والله سبحانه لا يمنع ذا حق حقه.

وكان يقال: لا يستجاب إلا لمخلص، أو مظلوم.

وروى مالك في الموطأ أن عمر استعمل مولًى له يدعى هنياً على الحمى، فقال: يا هني اضمم جناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم، فإن دعوة المظلوم

(١) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٩، والترمذي في البر باب ٧، والدعوات باب ٤٧، وابن ماجه في الدعاء باب ١١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٨، ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٧٨، ٥١٧، ٥٢٣، ٤/ ١٥٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٣٠٦.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة باب ٩، ٦٣، والمظالم باب ٩، والمغازي باب ٦٠، والتوحيد باب ٢٤، ومسلم في الإيمان حديث ٢٩، وأبو داود في الزكاة باب ٥، والترمذي في الزكاة باب ٦، والبر باب ٦٨، والنسائي في الزكاة باب ٤٦، وابن ماجه في الزكاة باب ١، وأحمد في المسند ١/ ٢٣٣.

مستجابة، وأدخل رب الصريمة والغنيمة، وإياي ونعم ابن عفان، ونعم ابن عوف؛ فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى المدينة إلى زرع ونخل، وإن رب الغنيمة والصريحة إن تهلك ماشيتهما يأتني ببينته فيقول: يا أمير المؤمنين، يا أمير المؤمنين، أفتاركهم أنا لا أبا لك، فالماء والكلأ أيسر عليَّ من الذهب والفضة، وايم الله إنهم يرون أني قد ظلمتهم، إنها لبلادهم ومياههم قاتلوا عليها في الجاهلية، وأسلموا عليها في الإسلام، والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عنهم من بلادهم شبراً[١].

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»[٢].

ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك: آمين، ولك بمثل.

وهذا الحديث يفيد فائدة عظيمة؛ لأنه إذا استجيب لك في أخيك لأنه غائب عنك، رجونا أن يستجاب للملك فيك، لأنك غائب عنه، وهذا المعنى داخل فيما روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى: ادعني بلسان لم تعصني به.

وروى مالك والجماعة عن عبادة بن الصامت وغيره أن النبي ﷺ قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، ودعا استجيب له»[٣].

وقال العلماء: أقرب الدعاء إجابة: دعاء الحال، أن يكون صاحبه مضطراً، لا بد له أن يدعو لأجله فمن صدق اللجأ والاستغاثة، أجيب في الحال، قال الله سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) أخرجه مالك في دعوة المظلوم حديث ١.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٨٧، وأبو داود في الوتر باب ٢٩.

(٣) أخرجه البخاري في التهجد باب ٢١، والترمذي في الدعوات باب ٢٦، وابن ماجه في الدعاء باب ١٦، والدارمي في الاستئذان باب ٥٣، وأحمد في المسند ٥/ ٣١٣.

وهذا تلقين للمضطر أن لا يذهل عن الدعاء في حال الاضطرار، وإشارة إلى أن دعاءه مستجاب.

وقال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وفي هذه الآية وأشباهها إبطال قول من يزعم أن العبد لا يستفيد بالدعاء شيئاً، لأن الله سبحانه حكى عنهم أنهم لما استغاثوا أجابهم.

وصفة المضطر ما قال ابن عطاء: أن يكون كالغريق، أو كالمعطل في مفازة، وقد أشرف على الهلاك.

وقال عبد الله المكانسي: كنت عند الجنيد فأتت امرأة فقالت: ادع الله فإن ابناً لي قد ضاع، فقال: اذهبي فاصبري، فمضت ثم عادت، فقالت مثل ذلك؟ ففعلت مثل ذلك ثلاث مرات، والجنيد يقول: اصبري، فقالت عيل صبري، ولم يبق لي طاقة، فادع الله لي، قال الجنيد: إن كان كما قلت فاذهبي، فقد رجع ولدك، فمضت ثم عادت تشكر له.

فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك؟.

قال: قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

والدليل على ذلك أن من أقوى أسباب الإجابة اللجأ والاضطرار حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار، فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله تعالى، فادعوا الله تعالى، لعله يفرجها عنكم، رواه البخاري.

قال: قال النبي ﷺ قال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم حلبت فبدأت بوالديَّ أسقيهما قبل بني، وإني استأخرت ذات يوم فوجدتهما نائمين، فحلبت كما كنت أحلب، وقمت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما، وأكره أن أسقي الصبية، والصبية يتضاغون عند قدمي حتى طلع الفجر.

فإن كنت تعلم أني فعلته ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء،

ففرج الله فرأوا السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، أحببتها كأحب ما يحب الرجال النساء، فطلبت منها، فأبت حتى أتيتها بمائة دينار، وتعبت حتى جمعتها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبد الله؟ اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت.

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج فرجة، ففرج.

وقال الثالث: اللهم إن استأجرت أجيراً بفرق أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فعرضته عليه، فرغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاتها، فجاءني فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي؟ فقلت إني لا أستهزئ بك، فخذ فأخذ.

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك، ابتغاء وجهك فافرج ما بقى، ففرج[1].

هذا ـ رحمك الله ـ رفق العزيز الجبار بأهل اللجأ والاضطرار.

ـ ومنها حديث الوشاح[2]، رواه البخاري أيضاً، أن أهل بيت في الجاهلية فقدوا وشاحاً لهم، فجعلوا يعذبون الجارية حتى فتشوا في قبلها، فبينما هم في ذلك إذ هم بحدياة في الهواء فألقته، فوقع عليهم، فقالت: هذا الذي كنتم تتهموني به، والله أعلم أنا منه بريئة، وكانت تنشد:

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من بلدة الكفر أنجاني

وروى أبو داود عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهر، فيتعار من الليل، فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب باب ٥، وأحاديث الأنبياء باب ٥٣، والحرث باب ١، والإجارة باب ١٢، ومسلم في الذكر حديث ١٠٠، وأحمد في المسند ٢/ ١١٦.

(٢) انظر حديث الوشاح عند البخاري في الصلاة باب ٥٧، ومناقب الأنصار باب ٢٦.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٩٧، وابن ماجه في الدعاء باب ١٦، وأحمد في المسند ٤/ ١١٣، ٥/ ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٤.

وروى عبد الله بن الصامت، قال جعفر الصادق: من حزبه أمر فقال خمس مرات: ربنا ربنا، ودعا في كشفه إلا أنجاه الله مما يخاف، وأعطاه ما أراد، واحتج بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآيات إلى قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وقال ابن عباس: لما نزلت: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] قرأها النبي ﷺ، فلما قال: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قال الله تعالى: قد غفرت لكم، فلما قال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله سبحانه: لا أؤاخذكم، فلما قال: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال الله سبحانه: لا أحمل عليكم، فلما قال: ﴿وَٱغۡفِرۡ﴾ قال الله تعالى: قد غفرت لكم، فلما قال: ﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ قال الله تعالى: قد رحمتكم، فلما قال: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله تعالى: قد نصرتكم[1].

قال جعفر بن محمد الصادق: عجبت لمن بلي بالضر، كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] والله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ﴾ [الأنبياء: ٨٤].

وعجبت لمن بلى بالغم، كيف يذهل عن أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وعجبت لمن خاف شيئاً، كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] والله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن كويد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] والله سبحانه يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٥].

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ١٩٩، ٢٠٠، والترمذي في تفسير سورة ٢، باب ٤٠.

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وهكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه، أن يمهد مقيله ي ظل كفايته، فلا البلاء يمسه، ولا العناء يصيبه.

وقال أبو بكر الدقاق، وهوأحد الفقهاء المالكيين المفتين: من أحبَّ أن يكثر ماله وولده ويبارك الله في رزقه فليقل: أستغفر الله إنه كان غفاراً، في اليوم سبعين مرة، قال الله سبحانه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ [نوح: ١٠، ١٢].

وروى أنس أن النبي ﷺ قال: قال ربكم: ثلاثة: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك.

فأما التي لي فتخلص لي، ولا تشرك بي، وأما التي لك؛ فأحوج ما تكون إلى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك: فمنك الدعاء، ومني الإجابة[1].

ودعاء الإخلاص مستجاب إن شاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وخلوصه تصفيته من الآفات والوساوس، وهو أن لا يشوبه شيء من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى، كما قالوا: الإخلاص خروج رؤية الخلق في معاملة الحق سبحانه، فيبرأ من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الخلق، أو محبة مدح، ألا ترى إلى قول اللعين: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

فلو لم يرغب في الإخلاص إلا ليخرج من غوائل إبليس ووسواسه.

وروى أبو محمد بن أبي زيد أن عبد الملك بن حبيب الذي يقال له: عالم الأندلس كان مستجاباً، وأن البحر هاج بهم في اللجة، فقام فتوضأ، ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم ماذا العذاب الذي أوتينا، وما هذه القدرة؟ اللهم إن كنت

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٥١، ١٠/ ١٤٩، والبزار في كشف الأستار ١/ ١٨.

تعلم أن رحلتي هذه كانت لوجهك خالصاً، ولإحياء سنن رسولك فاكشف عنا هذا الغم، وأرنا رحمتك كما أريتنا عذابك، فكشف الله عنهم بلطفه في الوقت.

ويقال: إن هذا الرجل لم يخرج من الدنيا حتى ألَّف ألف ديوان في فنون مختلفة.

وروي أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان، فيعرض عنه، ثم يدعوه فيقول لملائكته: أبى عبدي أن يدعو غيري، وقد استجبت له»[١].

ومما روي في العلم الأول أن لله سبحانه خلق الخلق وقال: «ناجوني، فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني، فإن لم تفعلوا فكونوا ببابي، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجتكم بي»[٢].

وحدثني ابن زهرة الطوسي ببغداد، قال: حدثني الأستاذ أبو القاسم بن القشيري، قال: أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشر ببغداد، قال: حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد، المعروف بابن السماك، قال: حدثنا محمد بن عبد ربه، المعروف بالحصري، قال: حدثنا بشر بن عبد الملك، قال: حدثنا موسى بن الحجاج، قال: قال مالك بن دينار: حدثنا الحسن، عن أنس بن مالك قال: كان رجل على عهد النبي ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولا يصحب القوافل، توكلاً منه على الله سبحانه، فبينما هو جاء من الشام يريد المدينة، إذ عرض له لص على فرس فصاح بالتاجر قف، فوقف له التاجر، وقال له: شأنك بمالي وخلِّ سبيلي.

فقال له اللص مثل المقالة الأولى، فقال له التاجر: أنظرني حتى أتوضأ وأصلي، وأدعو ربي سبحانه.

قال: افعل ما بدا لك.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) رواه الإمام القشيري في رسالته ٥٢٦.

فقام التاجر فتوضأ، وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء يدعو، فكان من دعائه: يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، ثلاث مرات.

فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب، عليه ثياب خضر، بيده حربة من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس، فلما دنا منه شد الفارس على اللص وطعنه طعنة أرداه عن فرسه، ثم جاء إلى التاجر فقال له، قم فاقتله.

فقال له التاجر: من أنت؟ فما قتلت أحداً قط، وما تطيب نفسي بقتله؟.

قال: فرجع الفارس إلى اللص فقتله، ثم جاء إلى التاجر فقال: اعلم أني ملك من السماء الثالثة، حين دعوت الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا أمر حدث.

ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار.

ثم دعوت الثالثة، فهبط جبريل، عليه السلام، من قبل السماء وهو ينادي من لهذا المكروب، فدعوت ربي أن يوليني قتله.

واعلم يا عبد الله، أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة وشدة وكل نازلة، فرج الله عنه وأعانه.

قال: وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة، فأخبر النبي ﷺ بالقصة فقال النبي ﷺ: لقد لقنك الله أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى[١].

وحكي عن الليث بن سعد أنه قال: رأيت عقبة بن نافع ضريراً ثم رأيته بصيراً، فقلت له: بم رد الله عليك بصرك؟ فقال: أُتيت في المنام فقيل لي: قل يا قريب، يا

(١) رواه القشيري في رسالته ٥٢٩.

مجيب، يا سميع الدعاء، يا لطيف لما يشاء، رُدَّ عليَّ بصري، فقلتها فرد الله عليَّ بصري.

وحكي عن ابن خزيمة أنه قال: لما مات أحمد بن حنبل كنت بالاسكندرية، فاغتممت، ورأيت أحمد بن حنبل في المنام وهو يتبختر، فقلت: يا أبا عبد الله؟ أي مشية هذه؟.

فقال مشية الخدام في دار السلام.

قلت: ما فعل الله بك؟.

قال: غفر لي، وتوجني، وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد، هذا بقولك القرآن كلامي، ثم قال: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري، وكنت تدعو بها في دار الدنيا.

فقلت: يا رب كل شيء، بقدرتك على كل شيء، اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء.

فقال: يا أحمد هذه الجنة فادخلها، فدخلتها.

وقال مطرف بن مصعب: دخلت على المنصور فرأيته مغموماً حزيناً قد امتنع من الكلام لفقد بعض أحبته، فقال لي يا مطرف، ركبني من الهم ما لا يكشفه إلا الله الذي ابتلاني به، فهل من دعاء أدعو به عساه يكشفه عني؟.

فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثني محمد بن ثابت عن عمرو بن ثابت البصري، قال: دخلت في أذن رجل من البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخيه، فأنصبته، وأسهرت ليله ونهاره.

فقال رجل من أصحاب الحسن: ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب النبي ﷺ الذي دعا به في المفازة، وفي البحر، وخلصه الله سبحانه.

قال: وما هو يرحمك الله؟ قلت: بعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، فسلكوا مفازة، وعطشوا عطشاً شديداً حتى خشوا الهلاك.

فنزل فصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم، يا عليم، يا علي، يا عظيم، اسقنا.

قال: فإذا نحن بسحابة كأنها جناح طائر، قعقعت علينا، ومطرنا حتى ملأنا كل إناء وسقاء، ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم، ولا خيض بعده، فلم نجد سفنا، فصلى ركعتين، ثم قال: يا حليم، يا عليم، يا علي، يا عظيم أجزنا، ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال: جوزوا باسم الله.

قال أبو هريرة: فمشينا على الماء، والله ما بللنا قدماً، ولا خفاً، ولا حافراً، وكان الجيش أربعة آلاف فارس.

قال: فدعا الرجل بها، فما برحنا حتى خرجت من أذنه لها طنين، حتى صكت الحائط وبرئ، قال: فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة، ثم انصرف بوجهه إليَّ وقال: يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت أجد من الهم، ودعا بالطعام، فأجلسني، فأكلت معه.

ومما روي من إجابة دعوة المضطر أن امرأة جاءت إلى بقي بن مخلد وهو رجل واسع العلم والدراية، من مشايخ علماء الأندلس، فقالت: إن ابني أسره الروم، ولا أقدر على أكثر من دويرة لي، ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت عليَّ من يفديه بشيء فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم، ولا قرار.

فقال: نعم أنظريني حتى أنظر في أمره، إن شاء الله سبحانه، ثم أطرق الشيخ وحرك شفتيه، وجاءت المرأة بعد مدة ومعها ولدها، فجعلت تدعو وتقول: حدِّث خبرك له، فقال:

كنت أسيراً عند بعض ملوك الروم، وكان له إنسان يستخدمنا ويؤذينا، وعلينا قيودنا، فجئنا ليله من العمل، فانحل القيد من رجلي ووقع على الأرض، ووصف ذلك اليوم فوافق الوقت الذي دعا فيه الشيخ، قال: فصاح عليَّ الذي كان يستخدمني، وقال: كسرت القيد؟ قلت: لا، إلا أنه سقط من رجلي، فاستحضروا الحداد وقيدوني، فلما مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في أمري، ودعوا برهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ قلت: نعم، قالوا: وافق دعاؤها الإجابة، أطلقك الله، فلا نمسكك، فزودوني، وأصحبوني إلى ناحية المسلمين.

ومن ذلك أن رجلاً متعبداً بقصر لوزة عند المنستير، وهو ساحل القيروان

قال: دخل اللصوص القصر ونهبوا بيوت المرابطين، ثم أتوني وقطعوا عليَّ صلاتي، وقالوا: هات ما عندك وإلا عذبناك.

فقلت لهم: اتقوا الله، ولا يغرنكم حلم الله عنكم، فقالوا: لا نخرج من عندك إلا بالعذاب، وأخرجوا خيط قنب، ورفعوا مئزري ليلقوه في أنثيي، فلما رأيت البلاء، رفعت عيني إلى السماء باكياً، وقلت: إلهي، ما هذا ظني بك؟ أعبدك لا أشرك بك سبعين سنة، فتهتك ستري، وتفضحني في آخر عمري؟ لا وعزتك ما هذا ظني؟ فسقط الخيط من أيديهم وولوا هاربين، فقلت: اللهم لا تبق على وجه الأرض منهم أحداً، فما أتى عليهم ثلاثون يوماً إلا قتلوا كلهم.

ومن ذلك ما روى إبراهيم بن عيشون، عن أبيه، وكان من عباد الله الصالحين، المنقطعين بالمنستير، قال: لما احتضر أبي قال: أخرجوني إلى الموضع الذي أجيبت فيه دعوتي حتى أدعو الله تعالى فيه.

فسألته عن قصته فقال: نزل عليَّ اللصوص، فقطعوا عليَّ صلاتي، وقالوا: هات ما عندك، فقلت: ما شاء الله، لا يأتي بالخير إلا الله، لا يذهب بالسوء إلا الله، وكان كثيراً ما يقول هذا، لا يكاد يسقط من لسانه، قال: فنزعوا ثيابي وتركوني في المئزر، وقالوا: يخرج من كل طائفة رجل يقتله في مرة؟.

وقف ستة نفر من ناحية، وستة نفر من ناحية، ورفعوا سيوفهم ليقتلوني، فلما رأيت البلاء رفعت رأسي تحت ظلال السيوف، إلى السماء، وقلت: يا غياث المستغيثين أغثني؟ فوقعوا على ظهورهم، وطارت سيوفهم من أيديهم، ونظرت إلى نفسي قائماً في أعلى القصر، لا أدري والله كيف رُفعت؟.

الباب السادس

في معرفة اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى

اعلموا أرشدكم الله ـ أنه قد استفاض في الأمة، وانتشر عند أهل القرآن والتوراة والإنجيل أن لله الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وها أنا أتلو عليك ما عندنا من الرواية عن النبي ﷺ، واستخرجه من القرآن، ونصوص الصحابة، والتابعين، وسائر السلف الصالحين.

فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال ابن عباس، وابن إسحاق، والسدي، ومقاتل، وغيرهم: إن هذا رجل من بني إسرائيل، اسمه بلعام بن باعوراء، وكان عنده اسم الله الأعظم.

وكان في بني إسرائيل ملك في زمانه رجل أعطي اسم الله الأكبر، وطلبه الملك فاختفى منه، ثم ظفر به، فقال صاحب الاسم الأكبر، قال: علمنيه، قال: ادع لي بثور لم يعمل عليه، قال فأتي بثور أحمر محرم، لا يقدر أحد أن يدنو منه، فقام إليه فتكلم في أذنه بشيء، فتساقط الثور جمراً، ثم قال للملك لتنتهين عن بني إسرائيل وما تفعل بهم وإلا نزل بك ما نزل بالثور، فكف عن بني إسرائيل.

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

قال أكثر المفسرين؛ قتادة، وغيره: هو آصف بن برخيا، وكان صِدِّيقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى.

قال ابن عباس: إن آصف حين صلى ودعا الله ـ سبحانه ـ قال لسليمان بن داود: مدَّ عينيك حتى ينتهي طرفك، فمد سليمان عينيه ونظر نحو اليمين، فدعا آصف، فبعث الله الملائكة حتى حملت السَّرير من تحت الأرض يحذون الأرض حذّاً حتى انخرقت الأرض بالسرير من بين يدي سليمان.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن الله صنع علم ذلك.

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، قال: «اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف، يا حي يا قيوم»[1]، وقال الزهري دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت ائتني بعرشها، فمثل له بين يديه.

وقال مجاهد اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب هو: يا ذا الجلال والإكرام.

وقال علي بن صالح: قال رجل: اللهم إني أسألك بالاسم الذي دعاك الذي عنده علم من الكتاب فاستجبت له، فتهدل البيت رطباً.

وقال ابن زيد: الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح في جزيرة من جزائر البحر، فخرج ذلك اليوم ينظر من ساكن الأرض، وهل يعبد الله تعالى أم لا؟ فوجد سليمان، فدعا باسم من أسماء الله، فإذا هو بالعرش بين يدي سليمان، حمل إليه من قبل أن يرتد إليه طرفه.

• ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال قتادة، والسدي، والكلبي: إن هاروت وماروت كانا يقضيان بين الناس

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٢٨٢، وابن كثير في تفسيره ١/ ٢٨٩، ٤٥٤، ٥/ ٣٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٦، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٩٤١، ١٩٤٢، ١٩٤٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٢٥، ٢/ ١٤، ٣٣٤.

يومهما، فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم، وصعدا إلى السماء، فاختصمت إليهما ذات يوم الزهرة، وكانت من أجمل النساء، كانت ملكة في بلدها من ملوك فارس، فافتتنا وراوداها عن نفسها فأبت، وقالت: لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به إلى السماء.

فقالا: اسم الله الأكبر الأعظم، فعلماها ذلك، فتكلمت به، وصَعْدت إلى السماء، فمسخها الله تعالى كوْكباً.

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب المقنع: ذكر كثير من أهل العلم أن الذي أنزل الله على الملكين ببابل هو الاسم الأعظم الذي صعدت به الزهرة، وكان الملكان قبل أن يسخط عليهما يصعدان به إلى السماء، فعلمته الشياطين فهي تعلمه أولادها، وتعلمهم السحر، وكانت الزهرة بغية من بغايا بني إسرائيل، وإنها لما تعلمت الاسم صعدت به إلى السماء، وحُبست ومُسخت كوكباً.

قال القاضي: والعقل لا يحيل شيئاً من ذلك، فاعلموه.

وروي في الخبر أن ملك الموت ـ عليه السلام ـ يقبض الأرواح بالدعاء، وذكر الاسم الأعظم الذي خص به، فهذا ينفي قول من ينكره، ويقول كيف يأخذ الأرواح مع البعد؟ وكيف يقبض أرواح جماعة في أقطار متباعدة؟.

واعلموا، أرشدكم الله، أن هذه الآيات التي تقدم ذكرها فيها اختلاف بين الصحابة والتابعين، وأقوال غير ما ذكرنا، وإنما موضع استدلالنا منها من وجهين:

أحدهما: أنه جرى على ألسنة الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من سادات المسلمين اسم الله الأعظم، ولم ينكره أحد عليهم، وإنما اختلفوا في تفسير الآي، فبعضهم يقول: ليس المراد بالآية اسم الله الأعظم، وإنما المراد بها شيء آخر، ولم ينكروا أن يكون لله اسم أعظم.

والثاني: أنه متى اختلف الصحابة في تأويل آية وجب ترجيح ابن عباس عند معظم المختلفين بدليل أن النبي ﷺ ضرب صدره وقال: اللهم علمه التأويل[1]،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٦، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٨/ ٢٩٦.

وقد أثبته ابن عباس.

وأما السنة، فروى أبو داود في السنن قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحلبي، حدثنا خلف بن خليفة، عن حفص ابن أخي أنس، عن أنس أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً، ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[١].

والذي عندي في ذلك أن هذا السند قد تكلم أهل الحديث في رجاله؛ أما خلف بن خليفة فقال يحيى بن معين كانوا يرمونه بالكذب، وطعن فيه أحمد بن حنبل وغيره.

وحفص بن عمر ضعيف، لا يرضى.

وروى أبو داود أيضاً بإسناد صالح قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب[٢].

وروى أبو داود أيضاً بطريق آخر، عن مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب[٣]، وروى أبو داود بطريق آخر عن مالك بن مغول هذا الحديث، وقال

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة حديث ١٤٩٥، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٨، والترمذي في الدعوات باب ٦٣، وابن ماجه في الدعاء باب ٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٩٠، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٣٦.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٤٩٣، ١٤٩٤، وابن ماجه حديث ٣٨٥٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٤٤.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

فيه: لقد سألت الله باسمه الأعظم(١).

قال أبو داود: وحدثنا مسدد بن مسرهد، قال: حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾(٢) [آل عمران: ١، ٢].

قلت: وشهر بن حوشب مطعون في نقله، وبعض المحدثين يقول: هو رجل صالح من الخوانين في الثغور، وإنما أخذ خريطة من بيت المال، حتى قال فيه الشاعر:

لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

ويقال: إن له في بيت المال حقاً، ومن أخذ حقه لم يكن ذلك طعناً عليه.

وروى أبو جعفر الطحاوي في مشكل الحديث قال: حدثنا أبو أمية قال: حدثنا الأسود بن عامر، قال حدثنا شريك بن عبد الله، عن أبي إسحاق، عن مالك بن مغول، عن أبي بريدة، عن أبيه سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أحد صمد لم تتخذ صاحبة ولا ولداً، فقال: لقد سأل الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»(٣).

قال أبو جعفر: وحدثني إبراهيم بن أبي داود قال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير الهمداني، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة عن أنس قال: مر رسول الله ﷺ برجل يصلي وهو يقول: اللهم لك الحمد لا إله إلا أنت يا منان، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، فقال رسول الله ﷺ لنفر من

(١) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ١، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٩٤٩.
(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٤٩٦، والترمذي حديث ٣٤٧٨، وابن ماجه حديث ٣٨٥٥، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٩١، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٦١٣، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٨٦.
(٣) أخرجه بلفظه وسنده الطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٦٢.

أصحابه: «تدرون ما دعا الرجل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: دعا ربه باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[١].

قال أبو جعفر: حدثنا محمد بن سنان الشيرازي قال: حدثنا هشام بن عمار، قال حدثنا أبو الوليد بن مسلم، قال حدثنا عبد الله بن العلاء أنه سمع القاسم أبا عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه»[٢].

قال: وحدثنا إبراهيم بن أبي داود قال: حدثنا عمرو بن سلمة الدمشقي، أبو حفص قال: سمعت عيسى بن يونس يقول لأبي زيد: يا أبا زيد، سمعت غيلان بن أنس قال: سمعت القاسم أبا عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن: البقرة، وآل عمران، وطه»[٣].

قال أبو حفص الدمشقي، راوي هذا الحديث: فنظرت في هذه السور الثلاث فرأيت فيها أشياء ليس في القرآن مثلها: آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وفي آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ١، ٢]، وفي طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] فاقتضى هذا أن الاسم الأعظم هو: الحي القيوم.

قال أبو جعفر: هذا الذي قاله أبو حفص يحتمل أن يكون كما قاله، فيثبت به أن اسم الله الأعظم هو: الحي القيوم.

•قال أبو جعفر: والصواب عندي أن اسم الله الأعظم هو: الله، قال: والدليل عليه ما حدثنا إبراهيم بن مروان، قال حدثنا مكي بن إبراهيم، قال حدثنا عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٦٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٥، والبيهقي في الأسماء والصفات ٣٦، والطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٦٣.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

النبي ﷺ يقول: إن في هاتين الآيتين اسم الله الأعظم: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣] و﴿الم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾[١] [آل عمران: ١، ٢].

ففي هاتين الآيتين اسم الله، وليس في أحدهما ذكر الحي القيوم.

قلت: بل هذا يقتضي أن يكون اسم الله الأعظم، لا إله إلا هو، ألا ترى إلى ما روى مالك في الموطأ أن نبي الله ﷺ قال: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٢].

وروى أبو داود أن النبي ﷺ قال لأبيٍّ: أي آية في كتاب الله أعظم؟ قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»[٣].

قال أبو جعفر: وما استخرجه أبو حفص من سورة طه هو ذكر الحي القيوم، فيقال له: وجدنا فيها ذكر اسم الله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨] فتتفق الأحاديث، ويوافق ما في طه، وما في سورة البقرة، وآل عمران.

وبهذا المذهب قال معظم العلماء، فروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة قال: اسم الله الأكبر هو، الله سبحانه، ألا ترى أن الرحمن اشتق من الرحمة، والرب من الربوبية، وذكر أشياء نحو هذا، والله سبحانه غير مشتق من شيء.

وقال أبو بكر بن العلاء: سألت سهل بن عبد الله عن اسم الله الأعظم

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي حديث ٣٥٨٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٨٩، ٢٨٩، ٥/ ١١٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٨٩، ٢٨٩، ٥/ ١١٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٧١، ٣٧٣، ٥/ ١٠، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٧٢.

(٣) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ٢٥٨، وأحمد في المسند ٥/ ١٤٢، والطبراني في المعجم الكبير ١/ ١٦٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٠٦٢، ٤٠٦٣، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٦٧، والمنذري في الترغيب والترهيب. ٢/ ٣٧٥، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٢٢، وابن كثير في تفسيره ١/ ٤٥٩، والقرطبي في تفسيره ٣/ ٢٦٨.

فقال: هو الله، فقلت: فقد قيل: إذا سئل به أعطى ونحن نسأله فلا يعطينا؟ قال: لو سألته وقلبك فارغ من كل شيء إلا مناجاته لأجابك في الوقت، ثم قال: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ١٠] قال: من كل شيء إلا من المسألة في أمر موسى.

وقال ابن المبارك: اسم الله الأعظم هو: الله، لأنه يضاف إليه جميع الأسماء.

وروي عن علي أنه قال: هو: يا طاهر، وعن ابن عباس هو: يا قيوم.

وقال بعض الأصوليين: من أسماء الله تعالى اسم لا يعلمه إلا هو، وهو اسم الله الأعظم، وهذا على نحو إحدى الروايتين عن ابن عباس.

وروى المحاسبي في كتاب الناسخ والمنسوخ «بإسناده عن أبي بريدة، عن أبيه، أنه سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أحد صمد، لم تلد، ولم تولد، ولم يكن لك كفواً أحد، فقال النبي ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[1].

وقال في لفظ آخر «لقد سأل الله باسم الله الأعظم الأكبر... إلى آخره».

وقد روي عن سهل أيضاً قال: اسم الله الأعظم ترك المعاصي.

ومن عجيب ما وقفت عليه في كتاب ابن شعبان حكاية لفظه، قال: يقول الداعي في دعائه: «اللهم يا رحمن يا رحيم» أحب إلينا من قوله: يا الله يا الله.

كما جاء في القرآن ﴿اللَّهُمَّ﴾ فقط.

قال: ويكره أن يقول الداعي: يا حنان، يا رب الأرباب.

وهذا هو الغلط الفاحش، فإن هذا من قول من جعله اسم الله الأعظم، قال الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فعم الأسماء، ثم قال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فبدأ بالأعظم من أسمائه، وندب الخلق أن يدعوا به، وهو الاسم الذي سمى به الحق سبحانه، ومنع الأغيار

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

التسمي به، وقبض الأسرار عن الإدعاء فيه، وصرف دواعي الخلائق من كل جبار عنيد، أو شيطان مريد أن يتسمى به سراً أو علناً، وهذا فرعون الطاغية ـ لعنه الله ـ مع عتوه وجبروته قال لقبط مصر: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات: ٢٤] فحلت به وبقومه النقمة.

لم يستجرئ يقول: أنا الله، فقبض الله الأسرار عن الإدعاء فيه فقال: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

يعني هل تعلم أحداً غير الله تعالى يقال له: الله، وهو الاسم الذي أطلق الله ألسنة الخلائق بذكره، وصرف الدواعي عن التعلق به، وعلق الأيمان في الحقوق به، وجعله غياث المستغيثين وملجأ المظلومين، وكهف الخائفين، وعياذ العائذين، وجنة المستجيرين.

فلا يقع أحد في شدة، أو يخاف بلية إلا وهجيراه يا الله، وهو أول مفروض على المكلفين في دار الدنيا: لا إله إلا الله.

وهو أول ما يقرع سمعه عند الخروج إلى دار الدنيا، فإذا قذفته الأرحام من ظلمة الأحشاء إلى سعة روح الدنيا تلقته القوابل وصرخن: الله أكبر.

وهو آخر ختام فراق الدنيا، واستقبال الدار الأخرى، فيلقن عند فراق الدنيا: لا إله إلا الله.

وبه يتناشد الخلق في محاوراتهم، يجعلونه عرضة في تعاطي ما يجري بينهم حتى نهوا عن ذلك فقيل لهم: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وهو الاسم الذي يقتضي الوله لمن كوشف، واصطلام من قام يشاهده، لأن الألوهية تقتضي جميع ذلك في الوله إليه، وتوجب انفصامك عن شواهدك، وفناءك عن حظوظك، ولقد أفسح الله ـ سبحانه وتعالى ـ للخلق في الدعاء بما هو أرفق لقلوبهم، وأطمع لنفوسهم فقال: ﴿أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] كأنه قال: إن لم تدعني بوحدانيتي فادعني بتفضلي ورحمتي.

وقد قيل: ما دعي أحد باسم من أسمائه إلا ولنفسه فيه نصيب إلا قوله: «الله» فإن هذا الاسم يدعوه إلى الوحدانية، وليس للنفس فيه نصيب، ولهذا قالوا:

إن الاسم للتعلق دون التحلق، ولأن الألوهية: القدرة على اختراع الأغيار، وهو غاية صفات الجلال، ونعوت الكمال.

قال أبو سعيد: أول ما دعا عباده دعاهم إلى كلمة واحدة، فمن فهمها فهم ما وراءها، وهو قول: «الله» ألا ترى إذ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ فتم به الكلام لأهل الحقائق، ثم زاد بياناً للخاص فقال: ﴿أَحَدٌ﴾ ثم زاد بياناً للأولياء فقال: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ ثم زاد بياناً للعام فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

فأما قولهم: «اللهم» فإنما كان الأصل فيه: يا الله، فلما حذفوا «يا» من أول الحرف زادوا الميم في آخره، ليرجع المعنى الذي في يا الله، ولذلك لا يجتمعان، فلا يقال: يا اللهم، وأجازوه في ضرورة الشعر.

ومن الناس من يقول: معنى يا اللهم: يا الله أُمنا بالخير، أي اقصدنا.

ويقال: إن الميم مزيدة، والعرب تزيد الميم في آخر الكلمة كما يقولون: زرقم وستهم.

فإن قيل: فما معنى قولنا: اسم الله الأعظم، وهل تجري المفاضلة في أسماء الله، سبحانه؟ بل كيف تتصور المفاضلة، والتعدد، والمغايرة في أسماء الله سبحانه، إذا كان الاسم هو المسمى؟.

فالجواب: أن معنى قولنا: اسم الأعظم ما قرن به، وهو قوله: إذا دعي به أجاب.

فإن قيل: فما بال الإنسان يدعو به فلا يجاب؟.

قلنا: أما أولاً فإنه لا يقطع على تعيينه، وإنما هو في مجاري الظنون لاختلاف الألفاظ فيه، فإذا لم يتعين للداعي عينه لم يعلم اقتران الخيبة.

فإن قيل: قد جمع الإنسان في دعائه جميع هذه الألفاظ، ثم لم تقض حاجته، فما جوابكم؟ قلنا: إلى الآن لم يجرب أحد ذلك، ورجع خائباً ليلزمنا الجواب.

فإن قيل: فهل تجوزون أن يدعو العبد في حاجته ثم لا تجاب دعوته؟.

قلنا: إن شاء الله على ما سبق في معلومه أنه يكون تجاب دعوته، لأن الدعاء لا يغلب المعلوم.

فإن قيل: فهكذا سائر الدعاء، لا يغلب المعلوم، ولا يرد القضاء، فما فائدة الاسم الأعظم؟.

قلنا: يجوز أن تكون فائدته أن الباري، سبحانه وتعالى، لا يلهمه ويجريه إلا على قلب عبده ولسانه، سبق في معلوم الله تكوين ما سأل، وإذا لم يسبق في العلوم قضاء الحاجة لم يجره على لسانه.

فإن قيل: هذه مراتب سائر الدعوات؟

قلنا: ليس كذلك، بل قد يجري سائر الدعوات على لسان من سبق في المعلوم أنه لا يقضي حاجته، وسنبين ـ إن شاء الله تعالى ـ شروط الإجابة، وموانع الإجابة، فيجوز أن يخل في سائر الأدعية بشرط من شروط الإجابة أو تقرن به بعض الموانع.

وإذا أجرى الله ـ سبحانه ـ الاسم الأعظم على لسان الداعي تحصل شروط الإجابة، وتنتفي الموانع، وهذا معنى كونه أعظم، وعلى هذا المعنى يجري التفاضل في سور القرآن وآياته، فيكون لقارئ آياته وسوره من كثرة الثواب، أو حسنه ما لا يكون في تلاوة سائرها، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «سورة «تبارك» تجادل عن صاحبها و«قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن» في أمثال ذلك، ولا تكون هذه الخصائص لغيرهما.

وأما التغاير والتعدد فيعود إلى التسميات، فيكون للمسمى الواحد تسميات كثيرة، وقد تسمى كل تسمية باسم، فهذا ما بلغنا في اسم الله الأعظم.

وقد ذكرنا في باب الدعاء المستجاب قول النبي ﷺ في اسم الله الأعظم.

وقد كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد ـ رحمه الله ـ ينكر هذا الاسم، وتكلم عليه في كتاب «الاستظهار» على عبد الرحمن بن الصقلي، وكان ضالاً

مبتدعاً يتعاطى أمور الولاية، ويركب مناكير الأمور، واتبعه على ذلك الفقيه أبو الحسن القابسي في رسالته «الناصرية»ولكنه كان ذلك في أول أمرهما، وإذا كان أبو محمد ينكر كرامات الأولياء، وكانت تلك الأقاليم شاغرة عن الحقائق [ولما] تمادى الأمر، وبلغهم مذاهب علمائنا الأصوليين، وبلغهم كتاب [أبي بكر محمد] بن الطيب الذي ألفه [في الرد على] الشيخ أبي محمد بن أبي زيد لما بلغه إنكاره وسماه (... البكري) فوقفوا على ما فيه، رجع أبو محمد وعصابته عن تلك العقائد التي كانوا عليها إلى الصواب، وأثبتوا كرامة الأولياء.

البَابُ السَّابِعُ

في قوله تعالى:
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
وما في ذلك من الظواهر

فمن ذلك: قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن الكلام على هذه الآية في فصول:

أحدها: (في معنى السؤال).

والثاني: في معنى القرب.

والثالث: في معنى الإجابة.

والرابع: في معنى الأمر.

واختلف المفسرون في أسباب نزولها، فقال ابن عباس: نزلت في عمر بن الخطاب وأصحابه رضي الله عنهم حين أصابوا من أهلهم في ليالي شهر رمضان، ثم ندموا، فقالوا: يا رسول الله هل لنا من توبة؟ وما توبتنا؟.

وعنه رواية أخرى: أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمس مائة عام وأن غلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت.

وقيل: سأل أصحاب النبي ﷺ أين ربنا؟ فنزلت، وقال الحسن: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت.

وقال أرباب الحقائق: هؤلاء عباد مخصوصون لم يسألوا عن حكم، ولا عن مخلوق، ولا عن دنيا، ولا عن عقبى، بل جردوا السؤال عن مولاهم، ألا تراه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ وليس هؤلاء من جملة من قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ [البقرة: ١٨٩] و﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] و﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] و﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩].

ولهذا أجيب هؤلاء فكلموا بواسطة، فقيل: ﴿قُلْ﴾.

والأولون المخصوصون تولى الحق سبحانه جوابهم بغير واسطة، فقال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ فسؤال كل واحد يدل على واحدة، ويخبر عن ضميره.

وقطب هذا الحديث: أن هذه السؤالات لا تدل على القرب بالجهات والمساحات، بل إن قربه إجابة الدعوات، والتقدس عن الأمكنة والجهات.

وأما القرب فقد أوضحه في الآية فقال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ أي هو يقرب بالإجابة.

وقطع الأطماع عن قرب المكان والمساحة، مع استحالته في حقه، وبين أن قربه من العبد بتوفيق يبديه، أو لطف ينشيه، فيوفق للدعاء ثم يجيبه من قريب، أي يسمع دعاءهم سماع القريب المسافة منهم.

وقيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ أي: سريع الإجابة، وفسر بذلك لمشاكلة معنى «قريب» لـ «سريع».

واعلم أن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يتصف بالقرب من العبد، والعبد يتصف بالقرب من الحق، سبحانه وتعالى.

فأما قرب الحق من العبد بالذات فتعالى الملك الحق عنه، فإنه متقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ما اتصل به مخلوق، ولا انفصل عنه حادث مسبوق، جلت الصمدية عن قبول الفصل والوصل.

فقربه كرامته، وبعده إهانته.

وقربه اليوم من العبد ما يخصه من العرفان، ويهديه إليه بوجوه اللطف والامتنان، ويوفقه لامتثال الأوامر، والانتهاء عن الزواجر.

قال الله سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧].

وفي الآخرة ما يكرمه به من التجاوز عن الزلات، والصفح عن المخالفات، ثم الشهود والعيان بقرب هو في حقه واجب، وهو قربه ـ سبحانه ـ بالعلم والقدرة، وهو عام للكافة، قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦] وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤] وقال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

فهو قريب لا بإلصاق، وبعيد لا بافتراق، وقرب هو جائز في حقه، يختص به من يشاء من عباده، وهو خصائص اللطف التي يختص بها من يشاء من عباده، على ما بيّناه.

وقرب هو محال في وصفه؛ وهو تداني الذوات.

وأما قرب العبد من الحق ـ سبحانه ـ فهذه اللفظة تحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: الاقتراب إليه بالطاعات.

والدليل عليه قوله سبحانه: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

فبيّن سبحانه أن الاقتراب إليه بالطاعات لا بالمساحات، وقال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه في السجود، فإذا سجد أحدكم فليجتهد في الدعاء، فإنه قمن أن يستجاب له»[1].

وقال النبي ﷺ مخبراً عن اللهِ سبحانه: «ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

كنت له سمعاً وبصراً، فبي يسمع، وبي يبصر»[1].

دلت الآثار على الاقتراب إليه بالأعمال الصالحة، وفيه دليل على أن أفضل الطاعات الصلوات، وأفضل أحوال الصلوات السجود، إذ العين لا تسرح، والنفس لا تفرح، والعبد فيها حامل نفسه غير محمول، ومنزعج غير مستقر.

وفيه دليل أن الحق ـ سبحانه ـ ليس بحال في العرش، لأن القائم أقرب إلى العرش من الساجد.

والثاني: الاقتراب إليه ـ سبحانه ـ بترك الصفات المذمومة، والتخلق بالصفات المحمودة، لأنه كلما فارقت صفات البشرية وتخلقت بالأخلاق النبوية، واتصفت بالصفات الملكية قربت من الحق سبحانه.

فإن من صفات الحق ـ سبحانه ـ الحلم والعلم والعفو والصفح، وستر الزلات، وإفاضة الخيرات على المقبل والمدبر، والمؤمن والكافر، والولي والعدو.

فإذا كنت كذلك فقد قربت منه، ولله المثل الأعلى عن الميل والقرب والشبه.

والثالث: قرب قوة المعرفة بوجود الحق ـ سبحانه ـ وعظمته، وجلاله وعلوه وكبريائه، وأنه القاهر الذي لا يُقهر، والغالب الذي لا يُغلب، وأنه الذي لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ثم علمت ما يجب ويجوز ويستحيل في حقه، وهو أصل المعارف، وأعلى القرب، فتلك غاية القرب، كما قالوا:

ونلت المنى لما حللت بقربه ولم يبق لي شيء أمنّي به نفسي

وهذا هو القرب الذي قطع نياط أهل العرفان، وكيف لا وقد قال الصفوة من عباده، وإمام أهل المعرفة: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [**الأحقاف: ٩**].

فأما القرب بالذات، والتداني بالجثمان والصفحات فعز الربوبية متقدس

(١) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٣٨، والترمذي في ثواب القرآن باب ١٧، وأحمد في المسند ٦/ ٢٥٦، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٥٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٨/ ٤٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٦.

عنه، وكبرياء الصمدية منزه عنه.

وإنما أطلق لفظ القرب مؤنساً لقلوب الأحباب والخدام، بل لو جاز القرب في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا كبير أثر.

وعن هذا قيل في قول النبي ﷺ: «لا تفضلوني على يونس متى»[1] معناه: لا تظنوا أني لما عرج بي علواً فعلوت من سماء إلى سماء حتى وصلت إلى سدرة المنتهى، ثم صرت إلى حجاب من الذهب، فتخلف جبريل ـ عليه السلام ـ فقلت: إلى أين؟ فقال: يا محمد ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: ١٦٤] إن هذا منتهى الخلائق، وإنما أذن لي في الدنو من الحجاب لاحترامك ولإجلالك، ولم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب حتى جاوزني سبعين حجاباً، غلظ كل حجاب مسيرة خمس مائة عام، ثم احتملني حتى وصل بي للعرش، فلا تظنوا أني في هذه الحال أقرب إلى الله سبحانه من يونس بن متى حين التقمه الحوت، فذهب به سفلاً فسفلاً حتى انتهى به إلى قرار الأرضين، بل العالي والسافل بالإضافة إلى جلال الحق ـ سبحانه ـ سواء، فسبحان من ليس كمثله شيء.

وفي معناه قيل:

ليتني مت فاسترحت فإني ... كلما قلت قد قربت ابتعدت

وأنشدوا:

كفى حزناً أني أناديك دائباً ... كأني بعيد أو كأنك غائب

وكان بعض المحزونين كثيراً ما ينشد:

ودادكم هجر، وحبكم قلي ... وقربكم بعد وسلمكم حرب

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ القاضي عياض في الشفاء ١/ ٢٦٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥.

وروي الحديث بلفظ: «لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى» وفي لفظ: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى». أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٢٤، ومسلم في الفضائل حديث ١٥٩، ١٦٦، ١٦٧.

وكان أبو بكر الشبلي ينشد:

* يا شفائي من السقام وإن كنت علتي *

* محنتي قبل أنني لا أبالي بمحنتي *

* قربكم مثل بعدكم فمتى وقت راحتي؟ *

ولما لقي أبو الحسين النوري بعض أصحاب أبي حمزة فقال: أنت من أصحاب أبي حمزة الذي يشير إلى القرب؟ إذا لقيته فقل له: أبو الحسين النوري يقرئك السلام، ويقول: قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد.

واعلم أن القرب من صفات القلوب، وليس من أحكام الظواهر والأكوان، ولا يكون قرب البعد من الحق ـ سبحانه ـ إلا ببعده عن الخلق.

فأما البعد فكما قيل: قربه كرامة وبعده إهانة، والبعد هو التدبر بمخالفته، والتجافي عن طاعته، فأول البعد بعد عن التوفيق، ثم بعد عن التحقيق، بل البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق.

فكم من عبد خرج يلتمس مباحاً أو طاعة فلحقته سوابق الخذلان، فأنتجت له المعصية، فأدركته سوابق التوفيق، فنهض في طاعة، هذا إبليس اللعين عبد الله في الأرض آلافاً من السنين، ثم لحقه، رقم شقاوته فحل به ما حل به.

وهذا آدم عصى الله ـ سبحانه ـ فلحقته سوابق عنايته، ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

قال المشايخ: العناية قبل الماء والطين.

ومن تحقق بقرب الحق ـ سبحانه ـ فأدونه دوام مراقبته إياه لأن عليه رقيب التقوى، ثم عليه رقيب الحفاظ والوفاء، ثم عليه رقيب الحياء، كما قالوا:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني

فما رمقت عيناي بعدك منظراً يسرك إلا قلت قد رمقاني

ولا خطرت في السر بعدك خطرة لغيرك إلا عرجا بعناني

وإخوان صدق قد سمعت حديثهم فأمسكت عنهم ناظري ولساني

وما الزهد أسلانيهم غير أنني وجدتك مشهودي بكل مكاني

وقال أبو بكر الواسطي: قطع من قطع من غيرة عليه، وقرب من قرب من غيرة عليه، قال سبحانه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

وسئل أبو سليمان الداراني: بم يتقرب العبد إلى ربه؟ فبكى، ثم قال: مثلي يُسأل عن هذا؟ هو أن يطلع الله على قلبك بأنك لا تريد من الدارين إلا هو.

وأعلام هذا قول إبراهيم بن أدهم:

اللهم إن كنت تعلم أن الجنة تساوي عندي ذرة بالإضافة إلى ما رزقتني من المعرفة بك فاحرمنيهما.

وقيل لبعضهم: ما علامة القرب من الله تعالى؟ فقال: الانقطاع إلى الله.

وقال أبو بكر الوراق: من نظر إلى الله بقلبه بعد من كل شيء سوى الله.

وسئل المحاسبي عن القرب فقال: القرب أن يتقرب العبد إلى ربه بالطاعات.

وفي تفسير الكلبي: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الواقعة: ٨٨] قال: إلى جنة عدن: قيل: هم السابقون الذين قال فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: ١٠، ١١].

واختلفت الروايات في السابقين، أعقبهم بالتفسير فقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤].

والثلة: القطعة، يعني فرقة من الأولين.

وقال قوم: معناه جماعة من الأولين من الأمم الماضية، وقليل من الآخرين، من أمة محمد ﷺ لأن الذين سبقوا إلى إجابة النبي ﷺ قليل من كثير ممن سبق إلى سائر النبيين.

وقال الحسن: سابقو من مضى من الأمم أكثر من سابقينا، فلذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وعن ابن سيرين: كانوا يقولون: كلهم في هذه الأمة.

وقال ابن عباس: السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة.

وقال علي: هم السابقون إلى الصلوات الخمس.

ويقال: الآية عامة في سابقي الأمم، وسابقي هذه الأمة الذين سبقوا إلى اتباع الأنبياء، عليهم السلام، فصاروا أئمة الهدى.

وقال سعيد بن جبير: السابقون إلى التوبة وأعمال البر جميعها، كما قال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١].

فصل

وأما الإجابة وهو مقصود الآية فإنما ينتظم الكلام فيها بذكر سؤال وجواب.

فإن قال قائل: قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] يدعو الداعي فلا يجاب دعاؤه، والإجابة في اللغة: إعطاء ما سئل، يقال: أجابت السماء بالمطر، وأجابت الأرض بالنبات، فإن الأرض سألت السماء المطر، وسألت السماء الأرض النبات فأعطت، قال زهير:

وغيث من الوسمي حُوٌّ تلاعه ... أجابت روابيه الندى وهواطله

يعني أجابت هواطله روابيه الندى حين سألها المطر فأعطته ذلك، وأجاب واستجاب بمعنى واحد.

قال كعب بن سعد الغنوي:

وداعٍ دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

سيما وقد تولى الحق سبحانه جواب السائلين بغير واسطة، فقال لهم: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾.

وهذا يقتضي عطفاً عليهم، وتشريفاً لأقدارهم، وتخصيصاً لهم، ألا ترى أنه أجاب المعاندين بالوسائط فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] فقال: قل لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الأعراف: ١٨٧] على ما بيّناه من تلك الأمثلة.

والجواب عن ذلك فيما يقال في الآية: إنها مطلقة، ثم قيدت بالمشيئة، قال الله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

فتقدير الكلام: أجيب دعوة الداعي إن شئت، نظيره قوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠].

وكثير ممن يريد حرث الدنيا ولا يؤتاه، فهذا خطاب مطلق، ثم قيد بالمشيئة فقال في موضع آخر: ﴿ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] فهذا هو الجواب الأصولي المعول عليه.

ويقال معنى: ﴿أُجِيبُ﴾ كما روي في الحديث: «إذا قال العبد: ربي، قال الله: لبيك عبدي» وسنوضحه في قصة داود عليه السلام.

وقد يجيب السيد عبده، والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله، لأن في ذلك هلاكه، فعند ذلك يكون المنع عطاء، بل هو أشرف من العطاء، وإذا منع المسؤول وهو لا يضره العطاء، ولا ينفعه المنع، فليس ذلك إلا حسن النظر إليه.

وعن هذا قال الشيوخ: منع الله عطاء، يدل عليه ما روي أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خلال، إما أن يعجل دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، فقالوا: يا رسول الله إذن نكثر، قال: الله أكثر»[1].

فيكون تقدير الآية: أجيب دعوة الداعي بالذي هو أفضل وأصلح، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١].

ويحتمل أن يريد: أجيب دعوة الداعي إذا وافق وقت الإجابة، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، وفيه ساعة لا يوافقها

(١) أخرجه الترمذي حديث ٣٥٧٣، وأحمد في المسند ٣/ ٤٣٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٨١، وابن كثير في تفسيره ١/ ٣١٤، ٥/ ٢٥١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٥٤، والطبري في تفسيره ٢٢/ ٣٢، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٩٥.

عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه» قيل لعمر: فإن دعا فيها منافق؟ قال: إن المنافق لا يوفق لها»[١].

وفي تفسير عمر دليل على أن من سأل الله شيئاً فلم يعطه أنه لم يوفق للوقت الذي تضمنت الآية والخبر الإجابة فيه.

- ويحتمل أن يريد: أجيب دعوة الداعي إذا لم يتعد حدودي، ولم يظلموا عبيدي، ولم يضيعوا صلاة ولا زكاة ولا صوماً ولا حجاً، ولا اغتابوا مسلماً، ولا أكلوا حراماً، يدل عليه ما روي أن الله، سبحانه أوحى إلى داود أن قل لظلمة بني إسرائيل: لا يدعوني أحد، فإني آليت على نفس ألا يدعوني أحد إلا أجبته، وإنهم إن دعوني أجبتهم باللعنة.

وعن هذا كان يقال: الدعاء ترك الذنوب، وقال النبي ﷺ لسعد: «أطب طعامك تستجب دعوتك»[٢].

وروي أن سعد بن أبي وقاص قيل له: ما بال دعوتك مستجابة من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: إني لا أرفع لقمة إلى فمي حتى أعرف من أين مجناها؟.

وقال أبو عبد الرحمن مولى سعد: جئت أنا وسعد ليلاً إلى بستان ذي نخل وليس لنا طعام، فلم نجد صاحبه فقال سعد: أيسرك أن تكون مسلماً حقاً، فلا تذوقن منه شيئاً، فربطنا الدابة وبتنا جائعيْن ثم أصبحنا فجاء صاحبه فاشترينا منه تمراً وعلفاً بدرهم.

وروي في الإسرائيليات أن جباراً من جبابرة الأرض، وكان يظلم الناس، فخاف من دعاء الأخيار والصالحين، فأضافهم وأكلوا من خزانته، فلم تجب لهم دعوة، ثم وقفوا في ذلك فامتنعوا من الطعام أربعين، ثم دعوا عليه فخسف به الأرض.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٤١، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٩٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٩٥، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦٧، وابن كثير في تفسيره ١/ ٢٩٢.

وفي أخبار عمر بن عبد العزيز أن أباه عبد العزيز بن مروان امتنع من أكل الطعام الذي كان يأكله من حله وحرامه حتى ذهب لحمه، وفنيت فضول بدنه، ثم أقبل على أكل الحلال الصرف، ثم واقع زوجته، فجاءت بمثل عمر.

وقال سفيان الثوري: بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل، وأكلوا الأطفال، فكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال ويتضرعون، فأوحى الله تعالى إلى أنبيائهم، قولوا لبني إسرائيل: لو مشيتم إليَّ حتى تحفي ركبكم، وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم من الدعاء، فإني لا أجيب لكم داعياً، ولا أرحم منكم باكياً، حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا فمطروا من يومهم.

وقال ابن عباس: خرج عيسى يستسقي بالناس، فأوحى الله تعالى إليه: لا تستسق ومعك خطاء، فأخبرهم بذلك، وقال: من كان من أهل الخطيئة فليعتزل، فاعتزل الناس كلهم إلا رجل مصاب بعينه اليمنى.

فقال له عيسى: ما لك لا تعتزل؟ قال: يا روح الله ما عصيت الله طرفة عين، وقد التفت بعيني هذه إلى قدم امرأة من غير أن أريد النظر إليها، فقلعتها.

فبكى عيسى حتى ابتلت لحيته بدموعه، ثم قال: فادع أنت، فأنت أحق بالدعاء مني، فإني معصوم بالوحي، وأنت لم تعصم، فتقدم الرجل ورفع يديه ثم قال: اللهم أنت خلقتنا وقد علمت منا ما نعمل من قبل أن تخلقنا، فلم يمنعك ذلك من خلقنا، وتكفلت بأرزاقنا، فأرسل السماء علينا مدراراً.

فوالذي نفس عيسى بيده ما خرجت الكلمة من فيه حتى أرخت السماء عزاليها، وسقى الحاضر والبادي.

وقال وهب بن منبه: أوحى الله إلى نبي من بني إسرائيل في قصة طويلة فعاتب فيها بني إسرائيل، يقول فيها: ولآمرن السحاب فلتكونن سبيكة من نحاس، وإن مطرت السماء، وأنبتت في خلال ذلك فبرحمتي بالبهائم، ثم أحبسه في زمن الزرع، وأرسله في زمن الحصاد، فإن زرعوا في خلال ذلك شيئاً سلطت عليه الآفة، فإن حصدوا منه شيئاً نزعت منه البركة، فإن دعوني لم أجبهم، وإن

سألوني لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرعوا صرفت وجهي عنهم.

وروي أن موسى ـ عليه السلام ـ خرج يستسقي ببني إسرائيل، فأظلتهم سحابة، ينطف منها الماء، ثم صرفها الله عنهم حيث شاء، فقال موسى: يا إلهي نسألك غياثاً فصرفتها حيث أحببت.

فأوحى الله إليه: يا موسى، إن قومك أتوني بقلوب فارغة من خشيتي، فأتيتهم بغيوم فارغة من رحمتي.

ـ ويحتمل أن يريد: أجيب دعوة الداعي إذا عملتم صالحاً، ولم تخالفوا أمري، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

دلت الآية بظاهرها أنه إذا لم يقترن بالدعاء عمل لم يستجب، ويدلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] إلى قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى: ٢٦].

فقرن استجابة المؤمنين بالأعمال الصالحة.

ولهذا تأثير في الشرع بأن السماء إذا أمسكت غياثها، ومنعت الأرض نباتها، وقنط سكانها أذن الله للخلائق أن يستسقوا ويستغفروا ربهم، فيخرجون وعليهم أثر الخشوع والخضوع، والإخبات وبذاذة الزي، والهيئة، ويقدموا قبل ذلك عملاً صالحاً من توبة، وصيام، وصدقة، وصلاة ونوافل الخير ما استطاعوا.

ـ ويحتمل أن يريد: أجيب دعوة الداعي بشرط أن يستجيبوا لي، لأن الله سبحانه قال: ﴿دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾ [البقرة: ١٨٦] وحقيقة الاستجابة؛ أن يستجيب منك الكل، ولا يتخلف عن الدعوة شيء منك، لأنك تدعو بشهود الإجلال والتعظيم، لأن الإلهية تقتضي جميع كلك في الوله إليه.

وأحسن مخارج الآية، نزولها في الكفار على ما قدمناه عن ابن عباس، ألا تراه قدم الاستجابة ثم الإيمان، تقديره:

فليستجيبوا لي بالإيمان، إن صح ذلك عن ابن عباس.

وإن حمل اللفظ على عمومه وهو المختار عندنا فكأنه سبحانه قرن استجابته لعبيده فيما سألوه باستجابتهم فيما كلفهم، كأنه قال: عبدي، أستجيب دعاءك وأستجيب سؤالك بشرط أن تستجيب إليَّ بامتثال أوامري والانتهاء عن زواجري.

وقال بعضهم: لم يقل: أجيب في الحال، فلو أجابه بعد الشهور والدهور لكان مجيباً؛ كقوله سبحانه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧].

فلما كان العام المقبل صُدوا عن البيت، فقال عمر لأبي بكر: أليس قد وعد الله الدخول؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنهما: أو قال في هذا العام؟ وأنتم ستدخلون ـ إن شاء الله ـ لا محالة.

ويقال: إن الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت، ويؤخر قضاء حاجته ليدعوه فيسمع صوته.

وقد روى جابر قال: قال النبي ﷺ: «إن العبد ليدعو الله وهو يحبه، فيقول لجبريل: اقض لعبدي هذا حاجته وأخرها، فإني أحب أن لا أزال أسمع صوته».

وروى أن يحيى بن سعيد قال: رأيت رب العزة في المنام: فقلت: يا رب، كم أدعوك فلا تستجيب لي، قال: يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك.

قال يحيى: وكنت شكوت ذلك إلى شيخ كنت أجالسهم، قال: لا تكره ذلك، فإن الله قد بارك لعبد في حاجته أذن له بالدعاء فيها.

ـ ويحتمل أن يريد: أجيب دعوة الداعي إذا دعان؛ إذا أخلص كما قال: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وروي أن موسى ـ عليه السلام ـ مر برجل يدعو ويتضرع، فقال موسى: إلهي؟ لو كانت حاجته بيدي قضيتها، فأوحى الله إليه: أنا أرحم به منك، ولكن يدعوني وله غنم، وقلبه عند غنمه، لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري، فذكر ذلك موسى للرجل فانقطع إلى الله بقلبه، فقضيت حاجته، وعن هذا قال رجل لذي النون: اذكرني في دعائك، فقال له ذو النون: كن أنت حاضراً.

قال أبو بكر الشبلي: من كرامات الولي أن لا تجاب دعوته، ولا يعطى مناه، قيل له: ولم ذلك؟ فقال: لأنه قد هجر رقاده، وألف سهاده، وأظهر فقره وحاجته، ولبس ثوب العبودية، وقام مقام الخضوع والذلة، وإذا وجد مراده كأن لم يدعنا إلى ضر مسه.

وكان يقال: الدعاء يوجب الحضور، وقضاء الحاجة يوجب الصدق، والمقام على الباب أتم من الإنصراف بالمسألة.

ولهذا قال بعضهم: لو أستجيب للعبد في كل ما سأل لخرج عن حد العبودية، وإنما أمر بالدعاء ليكون عبداً، والله يفعل ما يشاء.

وروي أن رجلاً قال لأبي يزيد البسطامي: أسألك أن تسأل الله سبحانه ألا يجري على قلبي خطراء ـ أي لا ترضى الله ـ فقال: يا هذا أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله هذه الحاجة لنفسي فما أعطانيها.

ومن شروط الثقة بالله ـ سبحانه ـ قوة الرجاء فيما عنده، كما روي في قصة العجوز الإسرائيلية التي كانت تجاور الملك، فغابت، فخرب الملك دارها، وأدخلها في داره، فلما جاءت العجوز قالت: يا رب إن لم أكن أنا حاضرة فأين كنتَ أنت؟ فأهلك الله الملك في داره.

وسئل جعفر الصادق: ما بالنا ندعو الله فلا يستجاب لنا؟ فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه.

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما لنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه، بل وافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم موتاكم فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

وفي أخبار داود ـ عليه السلام ـ يقول الله تبارك وتعالى: يا داود، من انقطع إليَّ كفيته، من سألني أعطيته، من دعاني أجبته، لكن يدعوني الداعي ولم يتم

قضائي فلم تزل دعوته معلقة وقد استجبتها له حتى يتم قضائي فأعطيه ما سأل.

وقال حذيفة: لتدعون هذه الأمة بما لو دعا به القرون الأولى، عاد، وثمود، لاستجيب لهم، فلا يستجاب لها؟ قال: وإن لله عبيداً تضيء مصابيح الدجى بصلاتهم، لا يستجيب الله لهم في العام حتى يبلغ مشيئته في عباده.

فإن قال قائل: إن استقامت لكم الاستجابة في قوله سبحانه: ﴿أُجِيبُ﴾ لم تستقم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فصل

وفي حديث النزول في قول النبي ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه...»؟[(١)].

وفي بعض ألفاظه «فأعطيه سؤاله».

وذلك أن بعض أهل اللغة قال: الإجابة قد تكون بالمراد، وقد لا تكون.

والاستجابة ليس إلا الإجابة على المراد سيما وقد قال أهل المعاني: هذه السين سين التوكيد، وسين التوكيد تقوم مقام القسم، والله لا يخلف الميعاد، فكيف إذا أكد القسم؟.

فالجواب: أنَّا قد ذكرنا أن أجاب واستجاب بمعنى واحد، وهو المعروف في اللغة، ثم جميع ما قدمناه في أول الآية من التأويلات يصح في هذه الآية والخبر جملة من غير تفصيل.

ـ ويحتمل أن يكون هذا في وقت مخصوص فلا يوفق للدعاء في ذلك الوقت إلا من سبق في علمه أنه يقضي حاجته بالدعاء، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة» وكم من حالف كاذب لم ينفق سلعته.

ولكن معنى منفقة للسلعة: إن وافق وقتاً قضيت فيه بالنفاق.

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

البَابُ الثَّامِنُ

في فوائد الدعاء ووجه الإجابة

اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن الدعاء لا يغير حكماً سابقاً، ولا يرد قضاء محكماً، ولا يغلب ما في المعلومات.

ولكنه لما كان عند الحق سبحانه معلوماً، وللخلق مجهولاً قوي الرجاء فحسن الدعاء، فمن كان السابق في العلوم إجابته في الدعاء أجيب، ومن كان السابق في العلم رده رُد، ولا يتغير ذلك بالإلظاظ والإلحاح، إلا أنه ربما كان السابق أن الإجابة تقع عند الإلحاح والدوام على الدعاء كان المعلوم أنه يدوم عليه، فتقع الإجابة، وربما كان أن الإجابة لو كانت لم تكن إلا مع الإلحاح، وكان المعلوم أن الإلحاح لا يكون، وأن الإجابة لا تقع، وهكذا القول في أوقات الدعاء، وألفاظه السابق أن الإجابة تقع بلفظ دون لفظ، وفي وقت دون وقت، فكان المعلوم أنه يأتي بذلك اللفظ في ذلك الوقت، فيوافق اللفظ ذلك الوقت.

وربما كان السابق أن الإجابة لو كانت لم تكن إلا بألفاظ معينة في وقت معين، وكان المعلوم أنه لا يوافق كذلك اللفظ والوقت فلا تقع الإجابة.

وهذا هو السر الأعظم في قول النبي ﷺ: «الدعاء بريد الإجابة، والصدقة تمنع البلاء، والصدقة [تدفع][1] ميتة السوء»[2].

---

(١) ما بين معكوفتين سقط أضفناها من نص الحديث: «والصدقة تدفع ميتة السوء». وفي لفظ آخر «الصدقة تمنع ميتة السوء».

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وفي الحديث: «الصدقة تمنع ميتة السوء» أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥٠٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٦٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢، ١٣٧، ٧/ ٣٨٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٥٩٨١.

وقوله ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر»[(١)].

وقوله: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[(٢)] وقوله ﷺ: «إن رجلاً بينما هو يمشي في طريق وجد غصن شوك فأخره عن الطريق، فشكر الله له، فغفر له»[(٣)].

وعلى هذا المعنى كل ما ورد في الشريعة من مغفرة، أو هلاك مقرون بسبب، وذلك أن يكون في معلوم الله أن يدفعه، ويرده عن دعائه، وصدقته، وقطيعته، فكأنه، سبحانه، قضى بقرب البلاء من العبد، ثم قضى بدفعه عنه بدعائه، قال: الأمر إلى يرفع القضاء بالقضاء.

وفي قصة قوم يونس - عليه السلام - في هذا الباب عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن ذكر، أظلهم العذاب حتى عاينوه على رؤوسهم، فلما أيقنوا بالهلاك خرجوا إلى الجبال والبراري تائبين إلى الله - سبحانه - متضرعين، خاشعين، باكين، فصرف الله عنهم العذاب، وشكر لهم فعلهم، وذم أهل القرى الذين أبلسوا، واستيأسوا، ولم يبكوا، ولا تضرعوا، ولا دعوا.

قال الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوٓاْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ [يونس: ٩٨].

فحق على المُكلَّف أن لا ييأس من رحمة الله، ولا يترك الابتهال والتضرع إلى الله، ولو كان بين نابي السبع، فلن يجد في الأعمال أفضل من قوة الرجاء، وحسن الظن بالله.

وكذلك لا يصرفك عن الدعاء علمك بأن الدعاء لا يغلب المعلوم، وعن الإلظاظ والإلحاح بالدعاء، لأن العاقبة مغيبة عنك.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٥٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦٩٠٦، والقرطبي في تفسيره ٥/ ١٩١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ١١، ومسلم في البر حديث ١٨، ١٩، وأبو داود في الزكاة باب ٤٥، والترمذي في البر باب ١٠، وأحمد في المسند ٣/ ١٤، ٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٣٩٩.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب ٣٢، ومسلم في الإمارة حديث ١٦٤، والبر حديث ١٢٧، وأبو داود في الأدب باب ١٦٠، والترمذي في البر باب ٣٨، ومالك في الجماعة حديث ٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٦، ٣٤١، ٤٠٤، ٤٣٩، ٤٨٥، ٥٣٣.

ألا ترى أن النبي ـ ﷺ ـ استغفر لبعض المنافقين، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ﴾ [التوبة: ٨٠].

فقال النبي ﷺ: لأزيدن على السبعين، فأنزل الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] فحينئذٍ ترك الاستغفار[(١)].

ودعا النبي ـ ﷺ ـ فرفع يديه، وأكثر الدعاء، وأطال حتى قال أبو بكر: مهلاً يا رسول الله، قد ألححت على ربك[(٢)]. هكذا رواه البخاري.

ولو بدا ما في المعلوم والمقدور للخلائق ما تعاطى أحد خلافه بقول ولا عمل.

وهذا أيضاً حديث الرسول ـ ﷺ ـ لما قالت له الصحابة: أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟.

فقال النبي ﷺ: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له»[(٣)].

فأمر بالعمل مع انطواء العاقبة.

وهكذا أمر الرسول ـ ﷺ ـ بالدعاء مع انطواء العاقبة، فادعوا فكلٌّ ميسر لما سبق في علمه، ولهذا يجوز أن يقول القائل: مدَّ الله في عمرك، وطوَّل في حياتك، ووسع في رزقك.

ولا يجوز أن يقول: لا أماتك الله أبداً، وإذا كانت العواقب مستورة عن العباد، والخواتيم مغيبة عن العواقب، مستورة عن الخلائق، وأسباب النجاح مطوية عن البرية فحينئذٍ يحسن الإلحاح في الدعاء، والاستخذاء بين يدي الونى وقوة الرجاء في استدرار ما في مكنون الغيب من البركات، واستعطاف جبار الأرض والسموات.

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٩، باب ١٢، ١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٨٩، وتفسير سورة ٥٤، باب ٥، ٦، وأحمد في المسند ١/ ٣٢٩.

(٣) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في تفسير سورة ٩٢، باب ٣ ـ ٥، ٧، والأدب باب ١٢٠، والقدر باب ٤، والتوحيد باب ٥٤، ومسلم في القدر حديث ٦، ٧، ٨، وأبو داود في السنة باب ١٦، والترمذي في القدر باب ٣، وتفسير سورة ١١، باب ٣، وابن ماجه في المقدمة باب ١٠، والتجارات باب ٢، وأحمد في المسند ١/ ٦، ٢٩، ٨٢، ١٢٩، ١٣٣، ١٤٠، ١٥٧، ٢/ ٥٢، ٧٧، ٣/ ٢٩٣، ٤/ ٦٧، ٤٣١.

ولـم يبلغ أحد في هذا المقام ما بلغ عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ فكان يقول: اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني، واكتبني سعيداً، وليس هذا من عمر طلباً لما يعلم أنه لا يكون، وإنما هو إظهار لغاية الخشية والخوف حتى يسأل ما لا يكون أن لو كان يكون، حتى لا يفوته التضرع بكل وجه، إظهاراً لغاية الخوف والجزع.

هذا تأويل الأستاذ أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك.

ويحتمل أن يريد عمر بن الخطاب ما قدمنا في صدر الباب من تنقل الأحوال عند دعاء الداعي، والحاجة على ما سبق في علم الله.

وقد ذكر علماؤنا ـ رضوان الله عليهم ـ للدعاء فوائد سوى ما ذكرنا، منها: أن الدعاء عبادة يثيب الله ـ سبحانه ـ عليها، وإن لم تقع الإجابة، وقد قال النبي ﷺ: «الدعاء مخ العبادة».

ومنها: أن الدعاء إشغال الهمة بذكر الحق سبحانه وتعالى، وذلك يوجب قيام الهيبة للحق عز وجل في القلوب، والزيادات في الطاعات، والانقطاع عن المعاصي، ولزوم الباب يستدعي الإذن في الدخول، ولهذا سبق المثل: من أدمن قرع الباب ولج، وكان يقال: الإذن في الدعاء خير من العبادة.

وقيل لبعضهم: ادع الله لي، فقال: كفاك من الخيبة أن تجعل بينك وبينه واسطة.

وفيه إظهار العبودية والإقرار بالفقر والحاجة، وفيه تحقيق التوحيد، والتبرؤ من الحول والقوة، والاعتراف بالربوبية، والافتقار إليه، كما قيل: موقف ذليل بين يدي عزيز.

وكان يقال: إن الله خبأ أربعاً في أربع: رضاه في طاعته، فلا تحقرن شيئاً من أبواب البر تفعله، وخبأ سخطه في معاصيه، فلا تحقرن شيئاً من المعاصي تجتنبه، وخبأ ولايته في عباده، فلا تحقرن أحداً من عباده، فإن الله لم يحقره إذا أودعه الإيمان، وخبأ إجابته في دعائه، فلا تحقرن شيئاً من الدعاء تدعو به.

وقال ابن المعتمر كرم الله تعالى لا ينقض حكمه، ولهذا يدعو العبد فلا يستجاب له.

الباب التاسع

هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضى

وهذا باب اختلف الناس فيه، فقال بعضهم: السكوت والخمود تحت جريان الحكم إثم، والرضى بما سبق من اختيار الحق ـ سبحانه ـ أولى.

وسئل الواسطي أن يدعو فقال: أخشى إن دعوت أن يقال لي: إن سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت إلينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا إليك من الدهور.

وكان يقال: اختيار ما جرى لك في الأزل خير من معارضة الوقت.

وقال عبد الله بن المبارك: ما دعوت الله منذ خمسين سنة، ولا أريد أن يدعو لي أحد.

قالت هذه الفرقة: فالراضي لا يدعو، فإن دعا فقد أحب خلاف ما أحب الله تعالى، فليس براض.

واحتجوا بأن امرأة بها لمم سألت رسول الله ﷺ أن يدعو الله لها، فقال: «أو تصبْرين ولا حساب عليك»[1]، وسألته الأنصار أن يدعو الله أن يكشف الله الحمى عنهم، فقال: «أو تصبرون وتكون لكم طهراً»[2].

وقال نبي الله ﷺ: مخبراً عن الله سبحانه: «من شغله ذكري عن مسألتي

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٧١، ١٧٢.

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»[١].

وكما قالوا:

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني عليل ومن أشكو إليه عليل

ويمنعني الشكوى إلى الله أنه عليم بما ألقاه قبل أقول

وأنشدوا:

رضيت وقد أرضى إذا كان مسخطي من الأمر ما فيه رضى من له الأمر

- وقالت طائفة: لا يدعو إلا بطاعة ينالها أو خوف سخط، فإن دعا بسوى ذلك فقد خرج من حد الرضى.

وقالت طائفة: له أن يدعو الكشف لأي حال كانت، للطاعة أو الراحة العاقبة، وفي كل ذلك هو مطيع، ودعاؤه للطاعة لا للراحة أفضل، ولا يخرجه دعاؤه للراحة عن الرضى، ولا ينقص منه.

- وقالت طائفة: دعاؤه بغير طاعة ينقصه من الرضى، واحتجوا بأن رجلاً أعمى قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به ليرد علي بصري، فقال: أو تصبر فهو أفضل؟ فأبى، فعلمه دعاء فرد عليه بصره.

وقالت طائفة: الدعاء في نفسه عبادة قال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»[٢].

والإتيان بما هو عبادة أولى من تركه، فإن لم يستجب له فقد قام بحق ربه، لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية، فالراضي لا يدعو إلا بخير.

قالت عائشة: يا رسول الله إن وافقت ليلة القدر بم أدعو؟ فقال: «سلى الله العفو والعافية»[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث ٢٩٢٦، وابن عبد البر في التمهيد باب ٦/٤٦، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٤٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٧٥، والبخاري في التاريخ الكبير ٢/ ١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي حديث ٣٣٧١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ٢٨٤، ٥/ ٢٩، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ٩٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٢.

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ في كتب الحديث التي بين يدي.

وسأل عمه العباس بن عبد المطلب فقال: «سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، قال: ثم سألته بعد حول فقال مثلها»(١).

وروى العلاء بن زياد [عن أبي هريرة] أن النبي ﷺ قال: «ما من دعوة أحب إلى الله أن يدعوا بها عبد من أن يقول: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة»(٢).

وروى أنس أن النبي ﷺ دخل على رجل مريض وقد صار كالفرخ، قال: بم كنت تدعو؟ قال: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الأخرى فعجله لي، فقال النبي ﷺ: «لا تطيق ذلك فاسأل الله العافية»(٣).

ـ وقال قوم: سؤالك الكشف ورفع البلاء، والشدائد أفضل لهذه الأخبار، ولما فيه من التذلل، وإظهار الضعف والفاقة إلى الحق سبحانه، وقوة اليقين رجاء السلامة والإيمان، فإن الله تعالى قادر على ذلك، وجميع الأنبياء قد سألوا العافية والكشف، والرزق، والولد.

وقال موسى: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

وقال زكريا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وإنما سأل الله الولد.

وقال أيوب: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قال الله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وأما قول النبي ﷺ للأنصار: «أو تصبرون» هو أنهم أرادوا سؤال الكشف ونقله، فأوحى الله إليه أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوقت، وأخر الدعاء.

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٠٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٧٥، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٤/ ١/ ١٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث ٣٨٥١، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٢٧٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٧٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٤٧.

(٣) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

ـ ويحتمل أنه رأى منهم جزعاً وقلة صبر فأمرهم بالتصبر، ثم دعا لهم، ولهذا قال: «اللهم انقل حماها فاجعلها بالجحفة»[1] ودعا ﷺ، وما نهى أحداً عن الدعاء، وإنما أمرهم بالتصبر، فالصبر مأمور به، والدعاء مأمور به.

ـ ويحتمل أنه ﷺ علم أنه إن دعا لهم كشف عنهم، وكان البلاء الذي نزل بهم ثوابه الجنة، لأن النبي ﷺ قال: «الحمى حظ كل مؤمن من النار»[2].

وقال: «من ذهب حبيبتاه في الدنيا لم يكن له جزاء إلا الجنة»[3] يعني عينيه، والجنة أفضل الثواب، فندبهم إلى الأفضل، وهم في هذا الحال مأمورون بالدعاء.

والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ تفارق الناس في ذلك، وقد فضلهم الله ـ سبحانه ـ على ما هو خير لهم، ولغيرهم، فيسألون في حال، ويدعون في أخرى، فقد سأل النبي ﷺ لسعد الشفعاء، وقال للأنصار: «أو تصبرون»؟ ولم يدع لهم لعلمه بما هو خير لهم.

ـ وقالت طائفة: الدعاء بالكشف لغير الأقوى أفضل قبل أن يكون منه من التسخط ما يذهب أجره، هذا عمر بن الخطاب يقول: انتشرت رغبتي وقد خشيت أن تحرز كفي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

وعمر وإن كان أقوى الأقوياء إلا أن الذي نزل به عظيم من الأمر ما لا يطيقه إلا الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فأما الأقوياء وأولو الأيدي والأبصار فإن أفضل ذلك عندهم ما صنع الله لهم من بلاء أو عافية.

(١) روي الحديث بلفظ: «اللهم انقل وباءها إلى مهيعة...» أخرجه بهذا اللفظ ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٨٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٩٦٠٩.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٣٠٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٧٦، ٥٢٦، ٥٢٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦٧٤٥، ٦٧٤٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٣٠٠، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٨٢، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٣٩، ٤٤١.

(٣) أخرجه بنحوه البخاري في المرضى باب ٧، والترمذي في الزهد باب ٥٨، والدارمي في الرقاق باب ٧٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٥، ٣/ ١٤٤.

واحتجوا بقول ابن مسعود: إنكم لستم من أهل البلاء، فاسألوا الله العافية.

فأخبر أن لله عباداً يشدد إليهم البلاء فيقومون به ويكون أقرب لهم إلى ربهم.

قال: «وإن من كان من قبلكم ليؤتى بأمشاط فيمشط بها من قرنه إلى قرنه، ويؤتى بالمنشار فينشر من قرنه إلى قدمه»[١].

وقال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[٢].

وقال ﷺ: «إني أحمُّ حماً رجلين منكم» فقال له ابن مسعود: لأن لك من الأجر مرتين؟ قال: «أجل»[٣].

وروى سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «وإنما يبتلى العبد على حسب دينه، إن كان في دينه صلابة شدد عليه البلاء، وإن كان في دينه رقة خفف عنه»[٤].

- قالت هذه الطائفة: كيف يكون سؤال الكشف أفضل من الصبر على منزلة يخص الله بها الأقوياء من عباده، والصفوة من رسله وأنبيائه؟

- ولما سمع أبي بن كعب النبي ﷺ يقول في الحمى ما يقول سأل الله فما زال محموماً[٥].

وقال أبو الدرداء: اللهم أعم، وكان مريضاً، وقال: أحب المرض تكفيراً للسيئات.

ودخل مروان على أبي هريرة فقال: اللهم خفف عنه، فقال أبو هريرة: اللهم اشدد.

وروى: خنقني بتخنيقك، فإنك تعلم أني أحبك.

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في الإكراه باب ١، وأحمد في المسند ٥/ ١٠٩.

(٢) أخرجه بنحوه الترمذي في الزهد باب ٥٧، وابن ماجه في الفتن باب ٢٣، والدارمي في الرقاق باب ٦٧، وأحمد في المسند ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥، ٦/ ٣٦٩.

(٣) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٤) أخرجه ابن ماجه في الفتن باب ٢٣، والدارمي في الرقاق باب ٦٧، وأحمد في المسند ١/ ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥.

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٥٥، وابن حجر في فتح الباري ١/ ١١٠.

- وقالت طائفة: لا تسألوا كشفاً ولا بلاءً، ولا دوام بلاء، ولكن نسأله الخيرة، فما كان أقرب إلى مولاهم، أن يقلهم من كشف ما بهم أو إدامته، أو زيادته، لأن النبي ﷺ قال: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله سبحانه.

ومن ركب هذا استعمل الأدعية التي فيها سؤال العافية على سلامة الدين، فيسألون الله سلامة الدين، والقرب إلى الله - سبحانه - سواء كان في كشف البلاء أو إدامته.

ووجه الجمع بين هذه الأخبار وذلك؛ أني رأيت التعارض إنما وقع فيها بعد نزول البلاء، فأما الدعاء ابتداء قبل حلول البلاء فهو أفضل، والدليل عليه ما قدمناه في باب الترغيب في الدعاء.

- وقالت طائفة: يجب أن يكون الإنسان صاحب دعاء بلسانه، ورضًى بقلبه؛ ليأتي بالأمرين جميعاً.

وقال بعض المتأخرين: الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل وهو الأدب، فإذا وجد في قلبه إشارة إلى السكوت، فالسكوت أولى.

وكان الأستاذ أبو القاسم القشيري يقول: إن وجد من الدعاء زيادة بسط وروح في قلبه فالدعاء أفضل وأولى، وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه وحر، ومثل: قبض فالأولى ترك الدعاء، وإن لم يجد في قلبه لا زيادة بسط، ولا حصول قبض فالدعاء وتركه شيئان: فإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال فالسكوت أولى.

قال: ويصح أن يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب، أو للحق فيه حق فالدعاء أولى، وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أولى.

(١) أخرجه البخاري في المرضى باب ١٩، والدعوات باب ٢٩، ومسلم في الذكر حديث ١٠، وأبو داود في الجنائز باب ٩، والترمذي في الجنائز باب ٣، والزهد باب ٣١، ٣٧، والنسائي في السهو باب ٦٢، والجنائز باب ١، وابن ماجه في الزهد باب ٧، وأحمد في المسند ٣/ ١٠١، ١٠٤، ١٧١ - ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٧، ٢٨١، ٤/ ٢٦٤.

الباب العاشر

هل الأفضل في الدعاء التصريح بالحاجة أم التعريض بها؟

اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن الله يصيب الأنبياء من عباده، والصفوة الأقوياء من أوليائه بضروب من البلايا والمحن؛ لما علم من قوتهم في دينه، وصبرهم على ما يقضي به مولاهم؟

هذا أيوب، عليه السلام ـ بلغ به البلاء ما لم يبلغ بأحد من خلقه، وهو نبي من أنبياء الله تعالى، المصطفين، وأقام سبع سنين مُلقًى في مزبلة من مزابل بني إسرائيل تحت ضروب من البلايا، صابراً غير شاك، فلما عيل صبره حفظ الأدب فعَّرض ولم يصرح: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقد قال قوم: هي شكاية وليس كما قالوا: بل هو دعاء حفظ الأدب والدليل عليه قوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٤] والاستجابة تكون في الدعاء لا في الشكاية.

وهذا موسى ـ عليه السلام ـ لما ورد ماء مدين، وقد بلغ به الجوع والجهد ما شاء الله، قال ابن عباس: حتى كانت خضرة البقل تبين من ظاهره حين فر من فرعون مصر إلى شعيب ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] فعرَّض بطلب الرزق ولم يصرح ـ كما ترى.

وهذا يونس ـ عليه السلام ـ لما التقمه الحوت، فغاص به إلى قرار

الأرضين، نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فعرض الخلاص ولم يصرح، فقال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

وأقوى من هذا أولو العزم من الرسل، وهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما قذف به قومه في كرة المنجنيق إلى الجحيم اعترضه جبريل ـ عليه السلام ـ وهو هاوٍ في الهواء إلى الجحيم فقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟.

فقال: أما إليك فلا.

وروى أنه أمره بالدعاء فقال: بحسبي من سؤالي علمه بحالي[١].

وهكذا قال المسيح لما قال له ربه: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [المائدة: ١١٦].

فأجاب جواب ذاهل تعريضاً لا تصريحاً فقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ١١٦] ثم قال: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] حفظ أدب الخطاب.

(١) أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة ٢١، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٢٦٧، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٢٧.

الباب الحادي عشر

هل الأفضل والأقرب إلى قضاء الحاجة الدعاء أم ذكر الله تعالى، والثناء عليه؟

قال قوم من العلماء: ذكر الله تعالى وحمده، وتمجيده، وتقديسه بما هو أهله من محامده أفضل وأرجى في قضاء الحاجة من الدعاء بها، منهم سفيان بن عيينة، واختاره الفقيه أبو نصر بن الصباغ الشافعي واحتجوا بهذا القول بما روي أن أمية بن أبي الصلت قصد عبد الله بن جدعان فسأله نائله، ثم أنشده:

أأطلب حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضك الثناء

قالوا: فهذا مخلوق جاد بماله لما أُثني عليه، فكيف بالخالق إذا اشتغل عبده بالثناء عن مسألته.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ خبراً عن الله سبحانه: «من اشتغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1].

وقد تأول قوم من العلماء هذا الحديث فقالوا: يحتمل أن يريد: أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، أي ذكره لي هو الذي أعطيته، كما قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] كأن ذكر الله سبحانه أفضل منطوق، بدليل قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وإذا كان الذكر أفضل موهوب كان ثوابه أفضل ما أعطى السائلين، ويحتمل أن يريد: أعطيته مجالستي، كما روي في

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

الحديث: يقول الله سبحانه: «أنا جليس من ذكرني»[١].

وهذه الأشياء أفضل مما سأل العبد، لأن العبد يسأل على قدر العبودية، وهمم العبد لا تجاوز قدره، والله تعالى يعطي ما يبقى، وشتان ما بينهما ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦].

ومن وهب الله مثل هذا فسيؤتيه في الآخرة «ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٢].

قلت: وتعظيم الملوك، والثناء عليهم، واللهج بذكر محاسنهم، أوقع في نفوسهم، وأرفع للأقدار في قلوبهم ممن يسألهم الحاجات، بل مدحهم والثناء عليهم أعظم وسيلة في قضاء الحاجات.

حتى إن المادحين لهم بين ناظم وناثر، كلما فخم الألفاظ، وخير المعاني، وأخلى مديحه من السؤال، ونزه مقاماته عن الكدية كان أرفع لمقدارهم عند الممدوحين، وأسنى لجوائزهم، وأعظم لهم في نفوسهم ممن يشوب مدائحه بالسؤال، ويطرز مقاماته بالكدية.

وقال قوم: يحتمل أن يريد: من شغله ذكري قبل أن خلقته، وعلم عنايتي به كيف نقلته في الأصلاب والأرحام، حتى جعلته في خير أمة، وعلمته الإيمان بي والثناء عليَّ، كل ذلك في علمي قبل أن خلقته، وقبل أن يسألني، فمن علم ذلك من ربه استغرق في بحار منته فشغل عن سؤاله لعلمه بحاله.

وفي قول يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٣٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٨٧، والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٢٤.

(٢) لفظ الحديث بتمامه: عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر...» أخرجه البخاري في التوحيد باب ٣٥، وبدء الخلق باب ٨، وتفسير سورة ٣٢، باب ١، ومسلم في الإيمان حديث ٢١٢، والجنة حديث ٢ ـ ٥، والترمذي في الجنة باب ١٥، وتفسير سورة ٣٢، باب ٢، وابن ماجه في الزهد باب ٣٩، والدارمي في الرقاق باب ٩٨، ١٠٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣، ٣٧٠، ٤٠٧، ٤١٦، ٤٣٨، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٩٥، ٥٠٦، ٥/ ٣٣٤.

ٱلظَّٰلِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] دليل على أن التهليل، والإقرار بالذنب، والثناء دعاء، وليس الدعاء ثناء، فيجب أن يكون الثناء أفضل من الدعاء لتضمنه الأمرين، وهذا هو معنى ما رواه مالك في الموطأ، أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»(١).

(١) أخرجه مالك في القرآن حديث ٣٢، والحج حديث ٢٤٦، والبغوي في شرح السنة ٧/ ١٥٧، وعبد الرزاق في المصنف ٨١٢٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٧٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٢٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٢٠٧٩، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٠٠.

البَابُ الثَّانِي عَشَر

في اختيار الألفاظ في الدعاء

اعلموا - أرشدكم الله - أني رأيت كثيراً من الناس يقصدون في الدعاء السجع، وازدواج الألفاظ، ويذهبون مذاهب الفصاحة، والبراعة والتنطع، والفخامة، فيكون الدعاء مسجوعاً موزوناً يضاهي مكاتبات أهل الدنيا التي يقصد بها المباهاة بين الأقران، والمباراة بين النظراء والكتاب، وهذا باب منهي عنه في الدعاء.

روى البخاري بإسناده عن ابن عباس قال: انظروا السجع من الدعاء فاجتنبوه، فإني عهدت النبي - ﷺ - وأصحابه لا يفعلون ذلك[1].

وقال ابن شعبان الفرضي: كان عروة بن الزبير إذا عرض عليه دعاء فيه سجع عن النبي - ﷺ - وعن أصحابه، قال: كذبوا لم يكن النبي ﷺ، ولا أصحابه سجاعين.

ومر بعض السلف بقاص يدعو ويسجع فقال: أعلى الله تبالغ؟ لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو ما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا جيدين، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة، اللهم وفقنا للخير، والناس يدعون وراءه، وكان يعرف بركة دعائه.

وكان أبو يزيد يقول: سله بلسان الحاجة، لا بلسان الحكمة.

واعلموا أن مقام الداعي مقام تذلل وخشوع وبكاء وتضرع، وإظهار فاقة وحاجة، والسجع تكلف، وتصنع، واشتغال الخواطر بازدواج الألفاظ، وإقامة الأوزان ينافي مقام الخشوع.

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ١٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢١٧.

ومن العجب العجاب أن تعرض عن الدعوات التي حكاها الله في كتابه عن الأنبياء، والأولياء، والأصفياء مقرونة بالإجابة، ثم تنتقي ألفاظ الكتاب والشعراء، كأنك قد دعوت في زعمك بجميع دعواتهم، ثم استعنت بدعوات من سواهم.

وقد تتبعت دعوات الأنبياء والمرسلين، والمصطفين من عباده المنتخبين، واستخرجت ما وجدت في القرآن من ذلك فوجدت جميعها «ربنا ربنا» أو «ربِّ».

وهذا نبينا محمد ـ ﷺ ـ معدن الفصاحة، علمه ربه الدعاء فقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طـه: ١١٤]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]، ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤].

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وهذا آدم ـ عليه السلام ـ وزوجته قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذا نوح ـ عليه السلام ـ قال: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وهذا إبراهيم ـ عليه السلام ـ وإسماعيل قالا: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وهذا موسى ـ عليه السلام ـ قال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥، ٢٨].

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧] ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

وهذا سليمان ـ عليه السلام ـ قال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

وهذا زكريا ـ عليه السلام ـ قال: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وعلى هذا النمط جميع ما أجراه الله في كتابه الكريم عن ملك أو نبي مرسل، أو صديق أمين، ألا ترى إلى قول الملائكة، عليهم السلام: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا﴾ [غافر: ٧].

دلت الآية على أن الدعاء للمؤمنين، والاستغفار لهم مقام شريف، وموقف كريم عند رب العالمين.

وقد كان بعض الصالحين له ورد من الدعاء كل يوم إذا فرغ من [صلاته، وأخذ بحظه من أعماله] ودعواته، يقوم مقام الملائكة، وينتصب للدعاء للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، فيضاهي بذلك قول الملائكة، عليهم السلام.

فانظروا إلى دعاء من رضي الله دعاءهم، واصطفاهم لمناجاته، فمن قولهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس: ٨٦].

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

«أنت ولينا فانصرنا على القوم الكافرين».

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٣، ٨٥].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

فهذه ـ رحمك الله ـ الدعوات التي اختارها الله لخاصة عبادة، وصفوة أوليائه، والمصطفين من أنبيائه ورسله وفيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، ليس فيها سجع، ولا تكلف.

الباب الثالث عشر

هل الأفضل إخفاء الدعاء أم الجهر به؟

اعلموا - أرشدكم الله - أن الله سبحانه أمر بإخفاء الدعاء، وأثنى على من أخفاه، قال الله سبحانه في الإخفاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

ثم أثنى على من أخفاه فقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: ٢، ٣].

روى أبو موسى الأشعري في السنن قال: «كان النبي ﷺ في غزاة، فأشرفوا على وادٍ فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون، قال النبي ﷺ: أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، إنه معكم»(١).

وفي رواية أخرى: «إن الذين(٢) تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم»(٣).

ورأيت في حديث غير الأصول الخمسة «بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً».

قال الحسن: إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة

---

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) الذين: كذا بالأصل، والصواب: إن الذي كما ورد في الحديث.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٠٢، بلفظ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».

الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون، وقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر ويكون علانية أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت، إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥] وقال إن الله سبحانه ذكر عبداً صالحاً ورضي قوله فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣﴾.

فإن قال قائل: ماذا أراد بالإخفاء؟ هل أراد إخفاءه عن الناس، وإن جهر به في الخلوات، أو أمر بالهمس بالشفتين، أو أراد إخفاءه في نفسه؟.

فالجواب: أن قوله: ﴿نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ الظاهر أنه أراد الهمس بالشفتين على ما ذكر الحسن، لأنه جاء الإخفاء من صفة النداء.

ويقال: أخفى دعاءه عن قومه خالياً في جوف الليل، وناداه بقلبه سراً في نفسه.

وقيل: مخلصاً فيه لم يطلع عليه إلا من ناجاه.

وفي بعض الآثار: «إن الله يحب القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي».

فأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠] يعني المجاوزين في الدعاء ما أمروا به.

وقد اختلف المفسرون في هذه اللفظة، فقال ابن جريج هم الذين يسألون منازل الأنبياء عليهم السلام، وقال عطية العوفي تلميذ ابن عباس: هم الذين يدعون فيما لا يحل على المؤمنين، اللهم أخزه، اللهم العنه، وقال ابن جريج أيضاً: من الاعتداء رفع الصوت والنداء والدعاء والصياح، وكانوا يؤمرون بالتضرع والاستكانة.

وروى أبو داود في السنن عن أبي نعامة عن ابن لسعد قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا وكذا.

وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال يا بني؟ إني سمعت النبي ﷺ يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء» فإياك أن تكون منهم،

فإنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أُعذت من النار أُعذت منها وما فيها من الشر»[١].

وهكذا روي عن عبد الله بن مغفل أنه سمع ابنه يدعو: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، وأسألك كذا وكذا، فقال: يا بني... وساق الحديث على نحو حديث سعد.

(١) أخرجه أبو داود حديث ١٤٠، وابن ماجه حديث ٣٨٦٤، وأحمد في المسند ٤/ ٨٧، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٨٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٢٩٥، والقرطبي في تفسيره ٧/ ٢٢٦، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٣٣، ٣٠٨.

الباب الرابع عشر

في تكرير الدعاء

روى مسلم في الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثاً، وكان يقول: «اللهم عليك بقريش، ثلاث مرات»[1].

وروى النسائي أن رجلاً من الأنصار قال: مررت بالنبي وهو يصلي الضحى فسمعته يقول: «اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم» حتى عددت مائة مرة[2].

وروى أبو داود عن ابن عمر قال: إن كنا لنعد للنبي ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[3].

وروى أيضاً عن عبد الله أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً[4].

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والله إني

(١) أخرجه مسلم في الجهاد حديث ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩ والنسائي ١/ ١٦٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٥٨٤٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ١٨.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٧١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٠، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٣٥ والنسائي في عمل اليوم والليلة ٥١.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ١٥١٦، والترمذي حديث ٣٤٣٤، وابن ماجه حديث ٣٨١٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٥٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١١٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ١٠٤، ٤/ ٤٩١، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦، ٦/ ٦٣.

(٤) أخرجه أبو داود حديث ١٥٢٤، وأحمد في المسند ١/ ٤٩٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٥٠، ١٨، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٩٧، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٩٣.

لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»(١).

وروى فقال فيه عن النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة»(٢).

قال: «وما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله سبحانه «فيها مائة مرة»(٣).

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣، والترمذي في تفسير سورة ٤٧، باب ١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٢، ٣٤١.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في الذكر حديث ٤١، وأبو داود في الوتر باب ٢٦، وأحمد في المسند ٢/ ٤٥، ٤/ ٢٦٠، ٥/ ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢.

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٤٤.

البَابُ الخَامِسُ عَشَرُ

في سياق الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ

ويقتصر من كثير مما جمعه المصنفون على ما اشتملت عليه خمسة الدواوين التي عول العلماء عليها، وهي: الموطأ لمالك بن أنس، والبخاري، ومسلم، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، إذ كان قصدي التصحيح دون التكثير، وإن أردت شيئاً من غيره نبهت عليه.

ولم أستوف ما في جميعها من الأدعية، وإنما ذكرت عيونها التي تليق بأطوار المسلمين، ولا يكاد أحد ينكف ليلته ويومه عن الحاجة إليها، وترجمت على كل حديث ترجمة تبينه، إما في إضافته إلى وقت معين، أو بذكر مقصود في الترجمة لتقرب فائدته، ويسهل تناوله على طالبه، وبالله نستعين وهو خير معين.

باب: معرفة كنز الجنة وبابها

روى البخاري، وأبو داود عن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: وما هو؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

وروى النسائي عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ وما هو؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٥١، ٦٨، وأبو داود في الوتر باب ٢٦، وأحمد في المسند ٥/ ١٥٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعاء باب ٥٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٩٧.

ورواه أبو داود عن النبي ﷺ: «كنز من كنوز الجنة، لا حول ولا قوة إلا بالله»[(١)].

التفسير: اعلم أن الحول والاحتيال والحيلة بمعنًى واحد، وهو القوة، قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

يعني القوة.

فمعناه: لا احتيال ولا قوة إلا بالله، هذا مذهب أهل اللغة، لأن الحول هو القوة.

وقال أبو عبيد: المحال، والمماحلة: المماكرة والمغالبة.

قال الأعشى في الجاهلية:

فرع نبع يهتز في غصن المجـ ـد غزير الندى شديد المحال

ويقال: لا حول عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بالله.

كأنه يقول: لا منع ولا دفع، ولا أخذ، ولا ترك، ولا حركة، ولا سكون، إلا بالله.

باب: ما اصطفاه الله من الكلام، وأحب الكلام إليه

روى النسائي عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ «أن الله، سبحانه، اصطفى من الكلام أربعاً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» فمن قال: «سبحان الله» كتب له عشرون حسنة، وحطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: «الله أكبر» مثل ذلك، ومن قال: «لا إله إلا الله» مثل ذلك، ومن قال: «الحمد لله رب العالمين» من قبل نفسه، كتب له ثلاثون حسنة، وحطت عنه ثلاثون سيئة[(٢)].

(١) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٦، وأحمد في المسند ٥/ ١٥٦.
(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٤٨، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٢، ٣١٠.

وروى أبو داود [عن أبي ذر الغفاري] قال: سألت النبي ﷺ ما نقول في سجودنا؟ فقال: «ما اصطفى الله لملائكته: «سُبحان الله وبحمده»[١].

وروى سمرة بن جندب قال: قال النبي ﷺ: أحب الكلام إلى الله: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»[٢].

وقال أبو ذر: قال النبي ﷺ: «وأحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحان الله العظيم وبحمده»[٣].

وقال عبد الله بن مسعود: أحب الكلام إلى الله سبحانه: أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وأبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك بنفسك.

ومما يتصل بهذه الترجمة ما اتفق المسلمون على صحته، ورواه مالك، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والجماعة عن أبي هريرة وغيره، أن نبي الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٤].

زاد مسلم في روايته: «ولئن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٨٤، والترمذي حديث ٣٥٩٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٢١، والطبري في تفسيره ١/ ١٦٧، والقرطبي في تفسيره ١/ ٢٧٦،

(٢) أخرجه ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٢١٠، وأحمد في المسند ٥/ ١٠، ومسلم في الذكر حديث ٤٨.

(٣) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ١٩٩٢.

(٤) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦٥، ومسلم في الذكر حديث ٢٨، والمساجد حديث ١٤٦، وأبو داود في التسبيح باب ٢٤، والتطوع باب ١٢، والوتر باب ٢٤، والترمذي في الوتر باب ١٥، والدعوات باب ١٧، ٥٧، ٥٩، والنسائي في السهو باب ٩٦، وابن ماجه في الأدب باب ٥٦، والإقامة باب ١٨٧، وأحمد في المسند ٢/ ١٥٨، ٢١٠، ٢١١، ٣٠٢، ٣٧١، ٣٧٥، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٩٧، ٤٩٩، ٣/ ١٠، ٤٣٩، ٥/ ١٧٣.

(٥) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٢٩.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله العظيم وبحمده»(١).

وروي عن ربيعة بن كعب الأسلمي: قال: «كنت أبيت عند حجر النبي ﷺ فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول: «سبحان الله رب العالمين، إلى هُوِيٍّ من الليل»(٢).

وروت جماعة عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ مر بجويرية بنت الحارث وهي في مصلاها تسبح الله وتذكر الله ـ سبحانه ـ ثم إنه مر عليها بعد أن ارتفع النهار فقال لها: يا جويرية ما زلت في مكانك؟ قالت: ما زلت في مكاني منذ تعلم.

قال: لقد تكلمت بأربع كلمات: أعيدهن ثلاث مرات، هن أفضل مما قلت: سبحان الله عدد خلقه، وسبحان الله زنة عرشه، وسبحان الله رضى نفسه، وسبحان الله مداد كلماته»(٣).

كذلك فهذه أشرف كلمات نثني بها على الله، فحق على كل مسلم أن يصطفيها، ويغتبط بها.

ومن كتاب الترمذي، روى أبو هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا؛ قيل: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قيل: يا رسول الله، وما الرتع؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٤).

وروى النسائي عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أحد»؟.

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٥٨، والدعوات باب ٦٦، والأيمان باب ١٩، ومسلم في الذكر حديث ٣٠، والترمذي في الدعوات باب ٥٩، وابن ماجه في الأدب باب ٥٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٢.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٢٧.

(٣) أخرجه مسلم في الدعوات حديث ٧٩، والترمذي في الدعوات باب ١٠٣، والنسائي في السهو باب ٩٤، وابن ماجه في الأدب باب ٥٦.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٨٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٠.

قالوا: يا رسول الله ومن يستطيع أن يعمل؟ (ولا إله إلا الله أعظم من أحد ـ زيادة من النسائي) قال: كلكم يستطيعه: (سبحان الله) أعظم من أحد، (ولا إله إلا الله) أعظم من أحد و(الحمد لله) أعظم من أحد، و(الله أكبر) أعظم من أحد»[١].

وروى النسائي أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح: سبحان الله مائة مرة، وإذا أمسى كذلك، لم يواف أحد من الخلائق بمثل ما وافى»[٢].

التفسير: اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أني لما رأيت قطب الدعاء وأساسه في الثناء على الله ـ سبحانه ـ وتعظيمه، وتمجيده، وتقديسه في هذه الألفاظ الأربع، التسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير، اقتضى ذلك شرحها وإيضاح معانيها، وبيان فضائلها وثوابها.

فمعنى التسبيح: التنزيه، وهو نفي النقائص عن الله ـ سبحانه ـ قال أبو عبيد اللغوي: الأصل في سبحان الله، براءة الله، فانتصب على المصدر، والمعنى: سبحانه تسبيحاً، أي براءته مبرأة، وسبحان أي: براءة قال الله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] أي: نزه ربك عن الأوصاف الذميمة، والاسم ههنا صلة، أو بمعنى المسمى، لأن الاسم والنفس، والذات عبارة عن الوجود والإثبات.

ويقال: نزه تسمية ربك، وذكرك إياه بأن لا تذكره إلا وأنت خاشع معظم، ولذكره محترم، فجعلوا الاسم بمعنى التسمية.

ويقال: إن التسبيح «تفعيل» من السبح، وكأن المسبح سَبَح بقلبه في بحار ملكوته.

ورأيت في التفسير أن النبي ﷺ سئل عن تفسير «سبحان الله» فقال: «هو تنزيه الله عن كل سوء».

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٤٧.
(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٧٩.

وقال علي بن أبي طالب: كلمة رضيها الله لنفسه.

وأما نظائر هذه الكلمة الشريف محلها، العظيم موقعها، أعني «سبحان الله وبحمده» فالمعنى ننزهك بأن نحمدك، هكذا قال بعض العلماء.

والعرب تدخل الباء أحياناً في التسبيح وتحذفها أحياناً فتقول: سبح بحمد ربك، وسبح حمد ربك.

قال الفراء: سواء قلت: سبح اسم ربك، أو سبح باسم ربك [فالكتاب] ذكره، قال الله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].

وقال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤] فعلى هذا أمره أن ينزهه بأن يحمده، وقال غيره: أمره أن يحمده بأن ينزهه.

وعلى المذهب الأول تدل نصوص القرآن، قال الله سبحانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] وقال في الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧].

قلت: أما قوله: إن المعنى ينزهك بأن يحمدك فلا يستقيم إلا على حذف الواو، والذي عندي في ذلك أن الله سبحانه لما اصطفى هذه الكلمة دل على شرفها، وأخبر أنها على معنى التوحيد والتقديس والتمجيد.

وجماع التوحيد في ركنين:

أحدهما: نفي النقائص والآفات.

والثاني: إثباته على أعلى صفات الجلال، ونعوت الكمال، والعظمة والكبرياء، فاختار الله سبحانه لنفي النقائص والآفات لفظ: التسبيح، واختار لإثبات المحامد وصفات الجلال لفظ الحمد.

فإذا قال القائل: سبحان الله وبحمده، فتقديره: براءة لك من النقائص والآفات، والحمد لله على ما أنت أهله من صفات الجلال، ونعوت الكمال، وتحقيق الألوهية، وثبوت الربوبية.

وعلى هذا يقول بعض المشايخ: جلسة من أهل العرفان على وصف المشهود، خير من عمل الثقلين.

ومن شرف هذه اللفظة وعظيم موقعها أن الله ـ سبحانه ـ رضي التسبيح من الملائكة، ومن أهل الجنة، ومن أهل البرزخ، ومن أهل السموات والأرضين، والجبال، ومن أهل الدنيا.

أما الملائكة، فحكى الله ـ سبحانه ـ عنهم فقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ٢٠] ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨﴾ [فصلت: ٣٨].

وقالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

وأما أهل الجنة فقال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ﴾ [يونس: ١٠] أي: قولهم وكلامهم: سبحانك اللهم، قال بعض المفسرين: يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتمجيد.

وأما أهل البرزخ فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢] فمعناه: يدعوكم من قبوركم.

وأما أهل السموات والأرض فقال الله سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وأما الجبال فقال الله تعالى: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠].

قيل في التفسير: سبحي معه.

والمراد بتسبيح السموات وما ذكر معها أحد وجهين: إما أن يريد الحقيقة، وأن الله يخلق فيها الحياة والعقل والكلام، والثاني أن يريد به الدلالة على أن الله تعالى مبرأ من كل سوء، وجميع المخلوقات تدل على هذا، لأنه ما من مخلوق إلا عليه أثر الصنعة والخلق.

والتسبيح على وجهين:

تسبيح بلسان المقال على العقلاء.

وتسبيح بلسان الحال للجمادات، على أحد القولين، وهو أثر الصنعة، والافتقار إلى الصانع.

وهذا التسبيح يشمل من يعقل، ومن لا يعقل، وعلى هذا حمل قوله سبحانه: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦] يعني: ليس في الكون من شيء من الآثار المفتقرة، والأعيان المستقلة إلا وهو ينادي عليه آثار الخلقة، وتفصح عنه شواهد الفطرة.

وكل صامت منها ناطق، وعلى وحدانيته دليل وشاهد، وذلك أنه قال: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦].

يعني: أن الخلق كلهم أطاعه بجبلته، بل كان بأمر التكوين، ولهذا عقبه بقوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] ثم قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

قال ابن عباس: معناه كل شيء حي وعليه كل نصوص القرآن، قال الله سبحانه: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

وقال الهدهد: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

وقد أحاطت هاتان الآيتان على دقائق ولطائف لا تصدر إلا من عاقل مؤمن، وعليه دل حديث النبي ﷺ عن بعض أنبياء بني إسرائيل لما قرصته نملة، فأمر بإحراق قرية النمل، فأوحى الله أوَ إن قرصتك نملة أهلكت أمة تسبح؟[1].

والتسبيح إذا أضيف إلى أمة فالمراد النطق دون أثر الصنعة.

وقال قتادة: يعني الحيوانات والناميات.

وقال عكرمة يعني كل شيء: كنا عند النبي ﷺ، فأخذ كفاً من حصًى فسبحن في يد النبي ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبها في يد أبي بكر فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد عمر فسبحن في يده حتى سمعنا

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٥٣، وأبو داود في الأدب باب ١٦٤، والنسائي في الصيد باب ١٣٨، وابن ماجه في الصيد باب ١٠، وأحمد في المسند ٢/٤٠٣.

التسبيح، ثم صبهن في يد عثمان حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في أيدينا فما سبحن في أيدينا[١].

وعلى هذا الأصل دل حديث الجذع الذي رواه المسلمون جميعاً، مالك، والبخاري، ومسلم وغيرهم، أن النبي ﷺ كان يخطب وظهره إلى الجذع، فحن الجذع حتى سمعنا حنينه، فنزل النبي ﷺ فاحتضنه فسكت»[٢].

وروى جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل النبي ﷺ فسبح العنب والرمان، ودخل عليٌّ فتناول منه فسبح أيضاً، ثم دخل رجل من الصحابة فتناول منه فلم يسبح، فقال جبريل عليه السلام: إنما يأكل هذا نبي أو صديق، أو ولد نبي[٣].

فإن قال قائل: فما معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالجواب أن فيها وجهين:

أحدهما: لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغتكم وألسنتكم.

والثاني: أن هذا مخاطبة للكفار، يعني أنهم لا يعتبرون، ولا يستدلون بالصنعة على الصانع، وبالمقصور على القاصر.

ويحتمل أن يريد ولكن لا تسمعون تسبيحهم.

وقال أبو الخطاب:

كنا مع يزيد الرقاشي: والحسن البصري في طعام فقدموا الخوان، فقال يزيد: يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان؟ فقال: كان يسبح، فأما الآن فلا.

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٧٩.

(٢) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة. أخرجه البخاري في المناقب باب ٢٥، والترمذي في الجمعة باب ١٠، والمناقب باب ٦، والنسائي في الجمعة باب ١٧، وابن ماجه في الإقامة باب ١٩٩، والدارمي في المقدمة باب ٦، والصلاة باب ٢٠٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٤٩، ٢٦٧، ٣١٥، ٣٦٢، ٣/ ٢٢٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٦، ٣٢٤، ٥/ ١٣٩.

(٣) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

يدلك قول النبي ﷺ: «ما عضهت عضاهة إلا بتركها التسبيح»[١].

وقال إبراهيم النخعي: الطعام يسبح.

وقال وهب بن منبه: لا يبني بيت مسجداً إلا وقد كان يسبح الله ثلاث مئة سنة.

وقال المقدام بن معدي كرب: إن التراب يسبح ما لم يبتل، فإذا ابتل ترك التسبيح، وإن الجزرة تسبح ما لم ترفع من موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح، وإن الورق ليسبح ما دام على الشجرة، فإذا سقط ترك التسبيح، وإن الماء ليسبح ما دام جارياً، فإذا ركد ترك التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديداً، فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الثوب الخلق لينادي في أول النهار اللهم اغفر لمن نقاني.

وقد تغلغل بعض الناس أن الشجر يسبح ما دام رطباً.

وروي أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وروي: لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين وغرزها في القبرين ثم قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا»[٢].

قال هذا القائل: والحكمة فيهما أنهما ما دام رطبين يسبحان الله سبحانه.

وإنما أكثرنا من ذكر أقوال سلف الأمة في هذا الباب ليعلم مواطأتهم على ما دلت عليه العقول من تسبيح الجمادات حقيقة، ولكنه إنما يتحقق ذلك بأن يخلق فيها الحياة والعقل والكلام.

واعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] مغايرة بين السموات والأرض، وبين سكانها، وإضافة

(١) رواه ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء باب ٥٥، ٥٦، والجنائز باب ٨٢، والأدب باب ٤٩، وأبو داود في الطهارة باب ١١، والترمذي في الطهارة باب ٥٣، والنسائي في الطهارة باب ٢٦، والجنائز باب ١١٦، وابن ماجه في الطهارة باب ٢٦، والدارمي في الوضوء باب ٦١، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

التسبيح إلى كل واحد منها، ثم في إضافة التسبيح إلى الجمادات، وإن لم يكن نصاً على صفته.

ولا يجوز أن يكون المراد بالسموات والأرض أهلها وسكانها، لأنه أفردهم بالذكر، بخلاف ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] من تخصيصه، وحمله على الأحياء لعمومها، ولأن التنزيه من طريق الدلالة بأثر الصنعة في الأحياء كما هو في الجمادات.

ولهذا لما قيل لبعض القدماء: أي شيء دل على الصانع؟ فقال: ليس شيء أدل عليه من شيء نظمه أبو العتاهية، قال:

أيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تسكينة ... وفي كل تحريكة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

فخرج من مجموع هذا أن السموات والأرض، وسائر الجمادات تسبح حقيقة، وهو جائز على أصولنا بأن يخلق الله ـ سبحانه ـ فيها الحياة، والنطق، والتمييز؛ لأن خلق الحياة والنطق عندنا يصح في الجوهر الفرد، ولا يقتصر على ندو وبلة ورطوبة.

وعلى هذا التأويل يخرج كل ما في كتاب الله العزيز من هذا الباب.

منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] فوصف الحجارة بأنها تخشى الله وتهبط من خشية الله من أعلى شماريخها العلى إلى الحضيض السفلي، ومن ضرورة خشية الله تعالى الحياة، والعقل، والمغفرة.

ومنها قوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٦].

ومنها قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: ٣٠].

ومنها قوله سبحانه فيها: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١٢].

والمعنى في ذلك أنه يخلق لها حياة، وإدراكاً، ورؤية، وكلاماً، وهذا أيضاً كما تنطق الجلود والجوارح في القيامة فتقول: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

وهو أن يخلق فيها العقل والنطق.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، يخلق الله سبحانه فيها حياةً ونطقاً وتستريح بما يخرج منها من حرها وبردها»[1].

وأما من شرط من القدرية في ثبوت الحياة النطق، والتمييز [والندو] والبلة، والرطوبة فيأبى هذا الوجه، ويحمل هذه الآيات، وما في معناها على المجاز، وضرب من الاستعارة، وذلك أن قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] أي عندما يخشى الله منه في الأوقات التي يحدث الله فيها الأمور الهائلة كالزلازل، والرعود، والصواعق، ونحوها، أن يظهر من الحجارة ما ظهر من حي مختار لكان منه خشوعاً، وهو كونها متصرفة لا امتناع عندها.

قالوا وعلى معنى قوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧].

أي الذي ظهر منه الميلان، لو ظهر من حي لدل على أنه ينقض.

وهذا إبطال لظاهر الآية وباطنها، ولتخصيص الحجارة، ولتخصيص إضافة الخشية إليها، وهذا تسبيح لا تأويل.

وقالوا: أراد بالتسبيح والسجود والخشوع: التذلل والتواضع؛ لأن عليها أثر التدبير والصنعة، وأنها مخلوقة لا تمتنع مما يراد منها، وعلى هذا قالوا: كل صامت ناطق.

(١) أخرجه البخاري في المواقيت باب ٩، وبدء الخلق باب ١٠، ومسلم في المساجد حديث ١٨٥ - ١٨٧، والترمذي في جهنم باب ٩، وابن ماجه في الزهد باب ٣٨، والدارمي في الرقاق باب ١١٩، ومالك في الوقوت حديث ٢٧، ٢٨، وأحمد في المسند ٢/٢٣٨، ٢٧٧، ٤٦٢، ٥٠٣.

وقال ابن السكيت: تقول العرب: بأرض فلان شجر قد صاح، أي طال لما تبين للناظر طوله، ودل على نفسه، جعله كأنه قد صاح؛ لأن الصائح يدل على نفسه بصوته.

وقال العجاج:

* كـالـكـرم إذ نـادى مـن الـكـافـور *

وقال غيره:

* تـرى الأكـم فـيـه سـجـداً لـلـحـوافـر *

وللعرب إقدام على الكلام، وثقة بفهم السامع عنهم، فابتدعوا، واستعاروا، واستحسنوا، واستخفوا، وحذفوا.

ومنهم من يذهب في دلالتها إلى معنى آخر، وذلك أنها إذا دلت على الخالق، وتأمل الخلائق خلقها، وإحكام صنعتها دعتهم إلى خشية الله، وقالوا: سبحان الله.

والعرب تقول: مال ناطق، أي؛ ينطق الناس إذا رأوه تعجباً منه، فيقولون: سبجان الله.

وتقول العرب: ناقة تاجرة أي تنفق ـ نفسها ـ بجودتها وعلاماتها.

وعلى هذا سموا الدريدية: المخزية؛ لأن السامع يستجديها، فيقول السامع: أخزاه الله ما أشعره، وقاتله الله ما أفصحه.

ووجه المجاز في كلام جهنم، أي لو كانت ممن يتكلم لاشتكت من شدة ما تجدهُ من الحر والزمهرير.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢] على مذهب كلام العرب في الدارين المتقابلتين: داري تنظر إلى دار فلان.

واعلموا: أن كل ما ذكروه مجاز واستعارة، ولا يضطر إليه دليل، وإنما ركبوه فراراً من خلق الحياة والعقل في الجماد، ومصيرهم إلى أن الحياة تفتقر إلى [نداوة] وبلة ورطوبة، وإنما اتبعوا فيه مذاهب الفلاسفة، وهو مذهب باطل لا دليل عليه.

فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: ١٥].

والظلال أعراض لا تقوم بأنفسها يستحيل خلق الحياة فيها.

فالجواب: أن المؤمن يسجد لله طوعاً، والكافر إذا نزلت به ضرورة ألجأته إلى أن يتواضع.

وقوله تعالى: ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

قال أهل التفسير: معنى يتفيؤ: يميل فيكون الظل بالغداة في جانب، وبالعشي في جانب آخر، قالوا: وميلانها سجودها.

يقال: سجد البعير وأسجد إذا أميل للركوب، وسجدت النخلة إذا مالت.

وقيل: إنه يستعار السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة، فدوران الظل من جانب إلى جانب هو سجوده، لأنه مستسلم منقاد، كما قال الشاعر:

* ترى الأكم فيها سجداً للحوافر *

وأما قولكم: إنه عرض فصحيح، وهو بقاء الجواهر التي من الظل والشخص على ما كانت عليه من اللون قبل طلوع الشمس، وإنما تغيرت الجواهر التي بين موقع الشمس وبين الشمس فيراها الرائي على لون آخر، يكون الظل عرضاً هو الدليل الظاهر للعقول على الحمل على المجاز بخلاف سائر الأجسام والجواهر فإن من صفة ذاتها قبولها الأعراض.

والحياة، والعقل، والعلم، أعراض فلا يستحيل خلقها فيها، ومن أحسن ما يستدل به على فضيلة التسبيح أن الله سبحانه لما نعى إلى النبي ﷺ نفسه في سورة النصر فإنما أمره بالتسبيح والاستغفار، قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[1] [النصر: ٣].

قال ابن مسعود: فلما نزلت عليه هذه السورة كان يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم».

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٧، ٣٤٤.

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول قبل أن يموت: سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك[١].

قالت عائشة: ولما نزلت هذه السورة ما رأيت أن النبي ﷺ صلى صلاة إلا قال: سبحانك اللهم وبحمدك، اغفر لي[٢].

وقالت أم سلمة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ بآخرة لا يقوم، ولا يقعد، ولا يجيء، ولا يذهب، إلا قال: سبحان الله وبحمده، أستغفره وأتوب إليه، قال: فإني أمرت بها، ثم قرأ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ إلى آخرها.

فإذا ثبت أن التسبيح هو التنزيه، وقد أمر الله ـ سبحانه ـ عباده بالتسبيح، فكل كلام تضمن تنزيه الله ـ سبحانه ـ وتقديسه عما لا يجوز في صفته، فهو تسبيح لله سبحانه.

فإذا قلت: لا إله إلا الله، نفيت ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته، مع الإقرار بأنه الإله وحده، فهذا من أعظم التسبيح لله سبحانه.

قال النبي ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله»[٣].

وقال الرجل الصالح عمر المنستيري وكان قد انقطع في قصر المنستير للعبادة، قال: رأيت في النوم وكأني أكبر على البحر، فكبرت ثلاث تكبيرات، فإذا بشخص واقف، فقال: أتم التكبير ـ عافاك الله ـ قلت: وما بقي عليَّ منه؟ قال: تقول: سبحان العالم بكيلك، سبحان العالم بوزن قطرك، سبحان العالم بعدد سكان قعرك.

وروى الأصبغ بن يزد، عن أبي صالح قال: خرجت بعد المغرب فرأيت طائراً أبيض ضخماً يقول: سبحان الله على حين غفلة من الناس.

وقال سعيد بن عبد العزيز: وقلت لعمير بن هانئ: أوى لسانك لا يفتر عن

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٤٨، باب ١.
(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٤٨، باب ١.
(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

ذكر الله، فكم تسبح كل يوم؟ فقال: مئة ألف إلا أن تخطئ الأصابع.

فهذا ما أردنا أن نذكره في لفظ التسبيح.

فأما اللفظة الثانية فهي لفظ الحمد:

فصل: في الحمد

اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن رتبة الحمد أجلُّ من رتبة الشكر، لأن الحمد هو الثناء على المحمود بما فيه من الخصائل الحميدة، والمناقب الشريفة، والصفات السنية.

والشكر: الثناء عليه بمعروف أولاه.

فالحمد: الثناء عليه بما هو به.

والشكر: الثناء عليه بما هو منه.

والحمد ابتداء، والشكر جزاء.

وقد يوضع الحمد موضع الشكر، يقال: حمدته على معروفه عندي، كما يقال: شكرته، ولا يوضع الشكر موضع الحمد، فلا يقال: شكرته على عمله، أو حلمه، أو كرمه وعقله.

فالحمد أتم من الشكر، فمعنى اللفظة: الحمد لله على صفاته العلا، وأسمائه الحسنى، وما هو عليه من استحقاق صفات الجلال والعلاء، فالله سبحانه قد حمد نفسه في آي له فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ولم يزل حامداً نفسه بثنائه على نفسه، ونحن نحمد الله على ما هو عليه من استحقاق صفات الجلال، وعلى إنعامه علينا وإحسانه إلينا.

قال الإسفراييني: حقيقة الشكر، ذكر الإفضال، وحقيقة الحمد، ذكر الفضائل والمناقب، وهو أعم من الشكر، لأن الشكر يتعلق بالإحسان، والحمد يتعلق به، وبالصفات المحمودة.

قال ابن عباس: افتتح الله الخلق بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وختم بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. وقال كعب: فتح الله التوراة بالحمد لله فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وختمها بالحمد لله ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وروى رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه من الركوع فقال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف النبي ﷺ قال: «من المتكلم آنفاً»؟ قال: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً»[1].

وقال أبو عبد الله الزبيري: ما سمع النبي ﷺ أحداً يحمد الله إلا جاذبه الحمد، وأن يبلغ ثناء المحمدين على من ليس يشبهه شيء؟ وأن يبلغ تقديس من لم يكن بجلال من لم يزل؟ وهذا سيد المرسلين يقول: «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك عن عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

وقال عمر بن عبد العزيز، رحمه الله: ما من نعمة وإن جلت إلا والحمد أجلُّ منها، ولا نعمة أجلُّ من الجنة، وقد رضي الله عوضاً عنها الحمد فقال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] ولم يرد آخر كلام يتكلمون به، وإنما أراد ما قبله.

ولما كتب أمير البصرة إلى عمر بن عبد العزيز إني حفرت لأهل البصرة نهراً

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٢٦، ومسلم في المساجد حديث ١٤٩، وأبو داود في الصلاة باب ١١٩، والترمذي في الصلاة باب ١٧٩، والنسائي في التطبيق باب ٢٢، والافتتاح باب ٨، ١٩، ٣٦، ومالك في القرآن حديث ٢٥، وأحمد في المسند ٣/١٠٦، ١٥٨، ١٦٨، ١٨٨، ١١، ٢٥٢، ٢٦٩، ٤/٣٤٠.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٢٢٢، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٨، والوتر باب ٥، والترمذي في الدعوات باب ٧٥، ١١٢، والنسائي في الطهارة باب ١١٩، والتطبيق باب ٤٧، ٧١، والسهو باب ٨٩، وقيام الليل باب ٥١، وابن ماجه في الإقامة باب ١١٧، والدعاء باب ٣، وأحمد في المسند ١/٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦/٥٨، ٢٠١.

عذباً لهم مشربة وجادت عليه ثمارهم، فإن أذنت لي قسمت عليهم المال الذي أنفقته عليه.

فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه لن تخطئ أن تكون في أهل البصرة حين حفرت نهرك من أن تقول: الحمد لله، فإن الله قد رضي بالحمد ثمناً للجنة، فارض بها عوضاً من نهرك، والسلام.

وقال أنس: سمعت عمر بن الخطاب يسلم على رجل، فرد عليه السلام، فقال له عمر: كيف أنت؟ قال الرجل: أحمد الله إليك، قال عمر: هذه أردت منك.

وقال سعيد بن جبير: أول ما يدعى إلى الجنة الذين يحمدون الله على كل حال، أو قال: في السراء والضراء.

وقال عمر بن عبد العزيز: كنا نقول: الحمد لله الذي من نطق سمع نطقه، ومن صمت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه مصيره، أنا الفقير الذي أغنيت، والجائع الذي أشبعت، والعاري الذي كسوت، والراجل الذي حملت، والخائف الذي أمنت، الحمد لله رب العالمين، اللهم خلقتني كيف شئت، فارحمني كيف شئت، ووفقني كيف شئت، ووفقني لطاعتك حتى ثقتي كلها بك، وخوفي كله منك، وسرعتي كلها إليك.

اللهم حبب إليَّ الخير كحبي له يوم أرى ثوابه، وبغِّض إليَّ الشر كبغضي له يوم أرى عقابه، فإن القوم الذين رحمتهم كانت لهم قبل طاعتهم لك، وقد قلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف: ١٥] فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير: من قال: لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥].

وقال أبو سليمان الداراني: وقف رجل على باب الكعبة حين فرغ من الحج فقال: الحمد لله بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم، الذي خلق خلقه كلهم، ما علمت منه وما لم أعلم.

ثم حج من قابل فوقف على باب الكعبة فقال مثل ما قال، فنودي: يا عبد الله، أتعبت الحفظة من عام أول إلى الآن، فما فرغوا لما قلت.

قال أنس بن مالك كنت عند جعفر بن محمد، فدخل سفيان الثوري فقال: حدثني حديثاً ينفعني الله به، فقال: إذا أنعم الله عليك بنعمة فأكثر من حمد الله، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، وإذا نزل بك أمر عظيم فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال سفيان: ثلاث وأي ثلاث؟.

فقال جعفر: عقلها ورب الكعبة.

ونقلت من مسند الحارث بن أبي أسامة إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ في الأمم، وهم جثيّ صفوفاً: سيعلمونَ اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحامدون لله على كل حال، قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي الثانية، سيعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: ١٦]، قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادي ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين كانت ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور: ٣٧] قال: فيقومون فيسرحون إلى الجنة.

قال: فإذا أخذ من هذه الثلاثة خرج عنق من النار فأشرف على الخلائق له عينان بصيرتان ولسان فصيح فيقول: إني وكلت بثلاثة: إني وكلت بكل جبار عنيد، قال: فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فتخنس بهم في جهنم» قال: ثم يخرج ثانية فيقول: إني وكلت بمن آذى الله ورسوله، فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتخنس بهم في جهنم، قال: ثم يخرج ثالثة، قال المنهال: حسبت أنه قال: إني وكلت بأصحاب التصاوير فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فتخنس بهم في جهنم.

قال فإذا أخذ من هؤلاء ثلاثة، ومن هؤلاء ثلاثة نشرت الصحف، ووضعت الموازين، ودعي الخلائق للحساب.

وروى البخاري في حديث الشفاعة أن الخلائق يستشفعون إلى الله سبحانه بالمرسلين، عليهم السلام، فيقفون عليها، فيأتون محمداً ﷺ فيقول: أنا لها فيؤذن لي، فيلهمني الله محامد أحمده بها، وأخر له ساجداً فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعرة من الإيمان، وحسبك شرفاً وجلالة بمقام الحمد أن يكون وسيلة في إخراج الأمة من النار[١].

قال أبو العتاهية:

أحمد الله وهو ألهمني الحمـ ... ـد على الحمد والمزيد لديه
كم زمان بكيت منه فلما ... صرت في غيره بكيت عليه

وقرأ القاضي أبو الوليد ـ رحمه الله ـ من شعره، وأنا أسمع:

الحمد لله حمد معترف ... بأن نعماه ليس نحصيها
وأن ما بالعباد من نعم ... فإن مولى الأنام موليها
وإن شكري لبعض أنعمه ... من خير ما نعمه يواليها

وأنشدوا:

إذا نحن أثنينا عليك بصالح ... فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وإن نحن أومينا بخير وحكمة ... لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

وأنشدوا:

إذا نحن أثنينا عليك فإنما ... نوفيك حق الفرض لا واجب الشكرِ
لأنك تولينا الجزيل مقللاً ... عظيم الذي تولى كأنك لا تدري

فصل

فأما اللفظ الثالث وهو التهليل:

اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن «لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، ومركب النجاة، وسفينة نوح، من عدل عنها هلك، ومن ركبها خلص ونجا، وهي قطب

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ٣٦، ومسلم في الإيمان حديث ٣٢٧، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٦.

الإسلام، وقاعدة الأديان، وما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه بها.

روى مالك والبخاري، ومسلم، والجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»[١]، وروى مالك في الموطأ أن النبي ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٢].

وروى ابن عمير أن عمر بن الخطاب رأى طلحة ثقيلاً، فقال له: ما لك؟ قال: كلمة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقولها أحد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس كربه، ورأى ما يسره، فقلت: ما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليها، قال عمر بن الخطاب: أنا أعلمها: قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أفضل من كلمة أراد عليها عمه؟ لا إله إلا الله، فقال طلحة: هي هي»[٣].

وروى أنس قال كان معاذ بن جبل رديف رسول الله ﷺ قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار.

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشرون؟ قال: إذن يتكلون، فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً»[٤].

وقال أنس: وقال لي: إن النبي ﷺ قال لمعاذ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن يتكلوا»[٥].

---

(١) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في الإيمان باب ١٧، والاعتصام باب ٢٨، ومسلم في الإيمان حديث ٣٤، ٣٥، ٣٦، والترمذي في الإيمان باب ١، وتفسير سورة ٨٨، والنسائي في الجهاد باب ١، والتحريم باب ١، وابن ماجه في الفتن باب ١، وأحمد في المسند ١/ ١١، ١٩، ٣٦، ٤٨، ٢/ ٣١٤، ٣٧٧، ٤٢٣، ٤٣٩، ٤٧٥، ٤٨٢، ٥٠٢، ٥٢٨، ٣/ ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٣٢، ٣٩٤، ٥/ ٢٤٦.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٦١.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٥٣، والبخاري في العلم باب ٤٩.

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان حديث ٤٩، والبخاري في العلم باب ٤٩، والجهاد باب ٤٦، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٧، ٥/ ١٧٠، ٢٢٨، ٢٣٢.

وروى أبو هريرة قيل: يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[١].

روى عتبان بن مالك قال: غدا على رسول الله ﷺ فقال: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له يبتغي بها وجه الله إلا حرمه الله على النار»[٢].

وحسبك شرفاً وجلالة لهذه الكلمة ما روى أبو داود أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»[٣] فمفتاح الدخول في الإسلام: لا إله إلا الله، وخاتم الخروج من الدنيا والقدوم على الله تعالى: لا إله إلا الله.

وروى النسائي عن يعقوب بن عاصم قال: سمعت رجلين من أصحاب النبي ﷺ يقولان: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد قط لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها روحه مصدقاً بها قلبه لسانه إلا فتق الله السماء فتقاً حتى ينظر [الله] إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»[٤].

وقال أبو مسلم الأغر: أشهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «كلمات من قالهن صدقه الله، لا إله إلا الله، والله أكبر، قال الله: صدق عبدي لا إله إلا أنا، ولا شريك لي، لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولي الملك والحمد، لا إله إلا الله ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا قوة إلا بي»[٥].

(١) أخرجه البخاري في العلم باب ٣٣، والرقاق باب ٥١، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.
(٢) أخرجه البخاري في الرقاق باب ٦، والاستتابة باب ٩، وأحمد في المسند ٥/ ٤٤٩.
(٣) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ١، ٢، وأبو داود في الجنائز باب ١٦، والترمذي في الجنائز باب ٧، والنسائي في الجنائز باب ٤، وابن ماجه في الجنائز باب ٣، وأحمد في المسند ٣/ ٣.
(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٨.
(٥) أخرجه ابن ماجه في الأدب باب «فضل لا إله إلا الله».

وروى النسائي، وأبو داود عن أبي عياش الزرقي قال: قال النبي ﷺ: «من قال إذا أصبح لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له كعدل رقبة من ولد إسماعيل، وكُتب له بها عشر حسنات، وحط بها عنه عشر سيئات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإذا أمسى مثل ذلك حتى يصبح»(١).

وروى أبو مسلم الأغر عن أبي هريرة، أيضاً، وأبي سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي، فإذا قال: لا إله إلا الله، له الملك، وله الحمد، قال: صدق عبدي، ولي الملك والحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي، من قالهن عند الموت لم تمسه النار»(٢).

وروى أبو داود عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٣) وروى مالك في الموطأ، ومسلم في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت [له عدل] عشر رقاب»(٤).

زاد مسلم: «من ولد إسماعيل، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»(٥).

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٧.
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب ١، وأبو داود في الجنائز باب ١٦.
(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦٤، ومسلم في الذكر حديث ٢٧، والترمذي في الدعوات باب ٥٩، ٩٧، وابن ماجه في الأدب باب ٥٤، ومالك في القرآن حديث ٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٢، ٣٧٥.
(٥) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٢٧.

وروى البخاري أيضاً: «من قاله عشراً كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل»[(١)].

وروى أبو داود عن يسيرة قالت: قال رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس، واعقدن بالأنامل، فإنهن مسؤولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة»[(٢)].

ومن غير الأصول الخمسة أن النبي ﷺ قال: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في النشور، كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[(٣)] [فاطر: ٣٤].

وروي أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة: «يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة لا إله إلا الله، فإنها لا توضع في الميزان، لأن لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن لكان لا إله إلا الله أرجح من ذلك»[(٤)].

وقرئ على القاضي أبي الوليد ـ رحمه الله ـ وأنا أسمع، عن ابن مسعود أن الله قسم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلامن يحب، فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان، فمن بخل بالمال أن ينفقه، وهاب العدو أن يجاهده فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر.

وسئل عطاء بن أبي رباح عن قوله سبحانه: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣] فقال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ لمن قال: لا إله إلا الله ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٤، والترمذي في الدعوات باب ١٢٠، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧١.

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ٢٦٦، ٥/ ٣٠٥، ١٠/ ٢٦٥، والديلمي في مسند الفردوس ٣/ ٢٨٦.

(٤) رواه الغزالي في إحياء علوم الدين ١/ ٢٩٧.

لمن لم يقل: لا إله إلا الله.

وفي الحديث: «ليدخلن الجنة كلكم إلا من تأبى وشرد على الله شرد البعير عن أهله، قيل: يا رسول الله، من يأبى؟ قال من لم يقل: لا إله إلا الله، فأكثروا من قول: لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها[1].

وقرئ علي القاضي أبي الوليد ـ رحمه الله ـ وأنا أسمع قال: قال عمر بن الخطاب: من قال في سوق من الأسواق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، كتب له ألف ألف حسنة، ومحيت عنه ألف ألف سيئة، وبنى له بيتاً في الجنة.

ومن الأمر الجليل في هذه اللفظة قال الله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ [آل عمران: 18].

فشهد في أزله بقوله وكلامه الأزلي، وأخبر عن وجوده الأحدي، وكونه الصمدي، وجلاله السرمدي.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ أي بيَّن الله بما نصب من البراهين، وأوضح من الآيات والبينات بكل جزء من جميع ما خلق وفطر، ومن كتم العدم أظهر من أغيار مستقلة، وآثار مضمحلة، كل ذرة منه بوجود الفاطر الحكيم مفصح، وباقتداره شاهد، وبربوبيته ناطق، وبكماله موضح، وعلى قدمه شاهد، والعقول مخبرة بأنه واحد عزيز ماجد.

ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ يريد شهدوا، وسددهم إلى معرفة وحدانيته، وكذلك أولو العلم من الآدميين أكرمهم حين قرن شهادته بشهادتهم فشهدوا عن شهود ويقين لا عن ظنون وتخمين، فكيف لا، وقد كان الملائكة وأولو العلم في كتم العدم حين لا عقل ولا جهل، ولا إيمان، ولا كفر، ولا فضاء، ولا سماء، ولا ظلام، ولا ضياء، ولا وجود لغير من الأغيار، والله شاهد

(1) أخرجه البخاري في الاعتصام باب 2.

لنفسه من الأزل بنعوت الجلال، وصفات الكمال.

وأما التوحيد على لسان أهل العلم، فهو الحكم بأن الواحد واحد، ثم الحكم به مرة يكون بالقول، ومرة بالعلم، يقال: وحدته إذا وصفته بالوحدانية، كما يقال: شجعته، إذا نسبته إلى الشجاعة، وكل من علم بأنه واحد، ووصفه بأنه واحد فقد وحَّده، وليس من وصفه من غير تحقيق كمن وصفه عن تحقيق.

ومعنى أنه واحد، أنه فرد لا عن كثرة، فوحدانيته في نفسه استحالة انقسامه في ذاته، ووحدانيته انفراده عن أن يكون له شبيه على معنى قولهم.

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير

وعبر عنه بأن الواحد من تناهى في سؤدده، فلا شبيه يساميه ولا شريك يساويه.

ووحدانيته في ملكه انفراده عن أن يكون له شريك في أفعاله فهو واحد في نفسه، واحد في وصفه، واحد في فعله، ولهذا قلنا: الموحد الذي يرى كل عز له منه، وهو واحد في وجوده، وهو موجود لا عن موجد، بخلاف سائر الموجودات فإن كل موجود منها عن موجد أوجده، وعلى هذا النمط لا نصفه بصفة، ولا نثبت له اسماً يسمى به، ويوصف به غيره إلا ويكون بين الصفتين فرق ينفرد فيه الرب سبحانه تخصيصاً يستحيل في سواه، فتصح به الوحدانية، كالقادر العالم مثلاً، وغيره.

فوحدانيته في قدرته، انفراده باجتماع الأغيار والآثار بقدرة واحدة من غير إله ولا مؤانس.

وفي العلم: انفراده بعلم واحد يعلم به جميع المعلومات، ويستحيل ذلك فيمن سواه، فافهموه ترشدوا.

ومن العلماء من يرى توحيده من عين التنزيه، هؤلاء قالوا: الحق ـ سبحانه ـ وراء ما أدركه الخلق بمعارفهم، وكل ما أخبر عنه مخبر، أو عبَّر عنه معبر، وانتهى إليه علم، أو حصل له بالتفصيل ذكر، فهو شواهد الحق لا حقيقته، فإن الحق منزه عن الإدراك والإحاطة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقال ابن عباس: الناظر في هذا الأمر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظرة ازداد غشاوة.

وقيل لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بم عرفت ربك؟.

قال: بما عرف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالقياس، قريب في بعده، بعيد في قربه، وهو فوق كل شيء، ولا يقال تحته شيء، ولا كشيء، ولا في شيء، ولا شيء، ولا يشبهه شيء، فسبحان من هو هكذا.

وقال الجنيد: إذا تناهت عقول الخلق في التوحيد في كلمة واحدة، ما تصور في الأوهام فهو بخلافه.

وقيل له: أخبرنا عن الله ـ سبحانه ـ فقال: إله واحد.

قيل: كيف هو؟ قال: ملك قادر.

قيل: أين هو؟ قال: بالمرصاد.

قيل: ما عن هذا نسألك.

قال: غير هذا صفة المخلوق، وأما صفة الخالق فقد أخبرتك.

وفي معناه أنشدوا:

يا من تقدس في جلال نعوته ... من ظن أنك مدرك: ممكور

وأنشد بعضهم:

وليس للوهم فيك وهم ... فيعلم الوهم كيف أنتا

وأنشد آخر:

وكُلّ من أطنب في وصفه ... أصبح منسوباً إلى العِي

واعلم أنك إذا وحدته بالبرهان، وانتفت الشبه والسواتر عن الجنان [بلغت] حالاً تسمى البيان، وهي أعلى من البرهان، لأنه لا يفتقر إلى نظر، ولا إلى تفكر نظر، وهي كالضرورية، وليست ضرورية، وإذا توالت هذه الحال ولم تتخللها غفلات أورثتك حالاً تسمى المشاهدة، وهي كالرؤية، وتنير حال الرؤية بتوالي أنوار التجلي على قلبك فتصير كالعيان، كما قال في الخبر: «اعبد الله كأنك

تراه»(١) وهذه أعلى حال الموحدين.

وفي معناه قال:

أبــعــيــنــي أراك أم بــفــؤادي   كــل مــا فــي الـفـؤاد لـلـعـيـن بـادي

فتتوالى أنوار التجلي على قلبه من غير أن يتخللها ستر وانقطاع، فتصير كما قال عمر بن عثمان المكي، وهو أحسن ما قيل في هذا الباب، وهو أنه قال:

يصير قلب هذا الموحد كما لو قدر اتصال البروق في الليلة الظلماء، فكانت الليلة الظلماء بتوالي البروق واتصالها تصير في ضوء النهار، فكذلك إذا رمت به أنوار القرآن صار قلبه نهاراً بلا ليل، فقلوب سائر الورى مع هذا القلب، كما قالوا:

لــيــلــي بــوجــهــك مــشــرق   وظــلامــه فــي الــنــاس ســاري

فــالــنــاس فــي ســدف الــظــلا   م ونــحــن فــي ضــوء الــنــهــار

وهذه الحال أعز من أن تلوح في قلب سكنه حب الدنيا، بل هي أقل في الورى من اتصال البروق في غسق الدجى.

واعلم أنه إنما شرف لفظ التهليل على سائر الأذكار لأنها كلمة كاملة، كنهها نفي وإثبات، تتضمن نفي كل ما سوى الله إلهاً، وإثباته ـ سبحانه ـ إلهاً، وما نفى الألوهية والاعتراف له باختراع سائر الأغيار، ولا تثبت هذه الخصيصى لسائر الألفاظ.

ولقد لجأ إلى هذه الكلمة عدو الله فرعون حين رأى اليأس، قال تعالى: ﴿وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠].

فقال له جبريل: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ يعني: الآن آمنت، وكنت قبل من المعتدين؟.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب ٣٧، ومسلم في الإيمان حديث ١، ٥، ٦، ٧، وأبو داود في السنة باب ١٦، والترمذي في الإيمان باب ٤، والنسائي في الإيمان باب ٥، ٦، وابن ماجه في المقدمة باب ٩، وأحمد في المسند ٢/١٠٧، ١٣٢.

وقال الرسول ﷺ: قال لي جبريل: ما أبغضت أحداً من عباد الله ما أبغضت عبدين: إبليس حين أبى السجود لآدم، وفرعون حين قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] ولو رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فيه مخافة أن تدركه الرحمة[1].

وقال قتادة: لما نادى يونس في بطن الحوت: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] قالت الملائكة: صوت معروف في السماء أعرف منه في الأرض، وهو معنى قوله: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤].

ولما نادى فرعون هذا النداء عند الغرق، قالت الملائكة: صوت منكر في أهل السماء.

دل هذا الأثر على أنه ينبغي أن يكون هجيري الخلائق بين دعاء، وتسبيح، وتحميد، وتقديس.

ومن عجيب ما روي في هذه الكلمة أن أبا بكر الشبلي كان يقول، وهو مذهب بعض شيوخ الصوفية، ويقولون: نفي العيب حين لا عيب عيب، فحضر أبو بكر التكريتي مجلسه وقال له: لم تقول «لا إله إلا الله» كما يقول الناس.

فقال: لقد اقتدى بالصديق حيث قال له النبي ﷺ: ماذا خلفت لأهلك؟ قال: الله ورسوله، فقال التكريتي: أريد أعلى منه، فقال: أخشى أن أؤخذ في وحشة «لا» فقال التكريتي: أريد أعلى منه، فقال: قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] فصاح رجل من أهل المسجد وزعق، فقال الشبلي: الله! فزعق ثانية، فقال الشبلي: الله، فزعق ثالثة، فقال الشبلي: الله، فجاد الرجل بنفسه، فتعلق أهله بالشبلي وجروه إلى السلطان، وادعوا بدمه.

فقال السلطان: ما الخبر؟ فأخبروه.

فقال الشبلي: ما ذنبي؟ روح حنت، فأنت، فرنت، فدعيت، فأجابت.

---

(١) أخرجه بنحوه الترمذي في تفسير سورة ١٠، باب ٥، وأحمد في امسند ١/ ٢٤٠، ٣٤٠.

فقال السلطان: خلوه، لا ذنب له.

وهذا المعنى على نحو ما روى مالك بن أنس، مر برجل يجذ نخلة، فسلم عليه، فالتفت الرجل فسلم، فمات.

فوصل الأمر إلى السلطان، وحضر أهل الميت، فدخل مالك على السلطان ولم يسلم، فقال السلطان: أين السلام يا أبا عبد الله؟ فقال: خفت أنْ أسلم فيموت بعض الحاضرين فأطالبْ بدمه، فحمد القوم.

فأما امتناعهم من قول: لا إله إلا الله، فمن تنطع الصوفية وخرافاتهم، ولا يصح التوحيد إلا بقول لا إله إلا الله، وقولهم: نفي العيب حيث لا عيب عيب، باطل أيضاً، وليس التنزيه والتقديس والتحميد إلا في نفي العيوب عن الله، سبحانه وتعالى، ووصفه بمحامده، وقد نزه الله سبحانه [نفسه] عن الآفات فقال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فصل

فأما الفصل الرابع وهو قوله: «الله أكبر».

اعلموا ـ أرشدكم الله ـ أن من صفات الله سبحانه ـ أنه أكبر ـ والأكبر، وكبير، ومتكبر ـ فكبرياؤه، وعظمته، وعلوه راجع إلى القدرة والمنزلة دون التركيب والجثة، وهو استحقاقه لأوصاف الكمال، وعلو القدر، وشمول القدرة، وعموم العلم، وكمال الإرادة، ونفوذ المشيئة، واستحقاق الربوبية، وليس ذلك بكثرة التأليف، وعظم الجثة، وكثرة المساحة، والذهاب في الجهات، لأن كبر الجسم لا شرف فيه.

والمقصود بوصفه المدح والتعظيم، وبكبره: تعاليه عن مشابهة خلقه.

وقول المسلم: الله أكبر من كل كبير، أي إن حمده ومدحه وتمجيده وتعظيمه يزيد على كل مدح وحمد وتمجيد وتعظيم.

وقولنا الله أكبر يحتمل معنيين: أحدهما: أكبر من كل كبير، وحذف لدلالة القرينة عليه، وهو استحقاقه لأوصاف الكمال على وجه لا يستحقه سواه، وذلك

من صفات ذاته، ويحتمل أن يكون معنى الله أكبر بمعنى كما يقال: ملك أعز، أي عزيز، واللغة تشهد له.

ولما اجتمع الأخطل بالفرزدق قال له: أنت القائل:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أعز من ماذا، وأطول من ماذا؟

فبينما هم كذلك قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر، فقال له الفرزدق: يا لكع اسمع هذا النداء، فهو أكبر من ماذا.

فسكت الأخطل.

ومن علم أنه أكبر صغر [مما ذاق] كل كبير.

وعن هذا قال الأشياخ: إذا عظم الرب في القلب، صغر الخلق في العين.

ومن صحيح مسلم: سمع النبي ﷺ رجلاً بقوله: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فقال: أيكم القائل كلمة كذا وكذا؟.

قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله.

فقال: النبي ﷺ: «عجبت لها تفتح لها أبواب السماء»[(١)].

باب الدعاء عند دخول الخلاء والخروج منه

روى البخاري وأبو داود عن أنس أن النبي - ﷺ - كان إذا دخل الخلاء قال: «أعوذ بك من الخبث والخبائث»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٥٠، وأبو داود في الصلاة باب ١١٩، والنسائي في الافتتاح باب ٨، وابن ماجه في الإقامة باب ٢، وأحمد في المسند ٢/ ١٤، ٩٧، ٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء باب ٩، والدعوات باب ١٤، ومسلم في الحيض حديث ١٢٢، ١٢٣، وأبو داود في الطهارة باب ٣، والترمذي في الطهارة باب ٤، والنسائي في الطهارة باب ١٧، وابن ماجه في الطهارة باب ٩، والدارمي في الوضوء باب ١٠، وأحمد في المسند ٣/ ٩٩، ١٠١، ٢٨٢، ٤/٣٦٩، ٣٧٣.

وفي رواية أخرى في البخاري: «إذا أراد أن يدخل»(١).

وروى أبو داود عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال: «هذه الحشوش محتضرة، فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: «أعوذ بالله من الخبث والخبائث»(٢).

وكان إذا خرج من الغائط قال: «غفرانك»(٣).

قال أبو عبيد: الخبث هم البشر، والخبائث: الشياطين.

قال الخطابي: إنما هو الخبث - مضموم الباء - جمع خبيث، والخبائث جمع خبيثة، استعاذ بالله من مردة الجن؛ ذكورهم وإناثهم.

باب: الدعاء عند الوضوء

روى مسلم في صحيحه، والنسائي أن النبي ﷺ قال: «من توضأ ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فُتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»(٤).

ورواه الترمذي فقال فيه: «إنه من أسبغ وضوءه ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»(٥).

قال الترمذي عقيبه: لم يصح في هذ الباب كبير شيء، يعني قوله: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين».

وروى النسائي عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة باب ٣، وابن ماجه في الطهارة باب ٩، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٩، ٣٧٣.

(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة باب ١٧، وابن ماجه في الطهارة باب ١٠، وأحمد في المسند ٦/ ١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم في الطهارة حديث ١٧ مكرر والنسائي في عمل اليوم والليلة ٤٣.

(٥) أخرجه الترمذي في الطهارة باب (فيما يقال بعد الوضوء).

في رق ثم طبع بطابع، ثم رفعت تحت العرش فلم يكسر إلى يوم القيامة»(١).

ومما يروى فيه ما رواه أبو داود أن عثمان بن عفان توضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما، ثم تمضمض، واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً وغسل يده اليمنى ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح رأسه ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يتوضأ مثل وضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ وضوئي هذا ثم صلى ركعتين، لايحدث فيها نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه»(٢).

قلت: قد علق غفران الذنوب على شرطين:

أحدهما: أن يكون الوضوء ثلاثاً.

والثاني: لا يحدث نفسه في الصلاة.

واعلم ـ أرشدك الله ـ أنه قد اعترف جماعة من العقلاء بعجزهم عن هذا الشرط بعد تعاطيهم لتحصيله، أعني عدم التحدث، حتى روي فيه حديث الناقتين، وهو أن رجلاً تعاطى ذلك فقال له قائل: إن صح مقالك أعطيتك إحدى ناقتي هاتين، فلما صلاهما قال: قد استوجبت ما جعلت لي.

فقال لي القائل: ما حدثت نفسك بشيء؟ قال: لا، ولا تحدثت أي الناقتين تختار؟ قال: بلى، قد هجس ذلك في نفسي، فلم يعطه شيئاً.

باب: الدعاء عند الأذان

ومن صحيح مسلم، ورواه أبو داود أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة؛ فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى وأرجو أن أكون أنا هو، من سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»(٣).

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء باب ٢٤، ٢٨، ومسلم في الطهارة حديث ٣، ٤، ٨، وأبو داود في الطهارة باب ٥١.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ١١، وأبو داود حديث ٥٢٣، والترمذي حديث ٣٦١٤، والنسائي ٢/ ٢٥.

وروى مسلم والنسائي وأبو داود عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ: قال: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح: قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر؛ قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة»[١].

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي - ﷺ - قال: «من قال حين يسمع النداء، اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»[٢].

وكان النبي يقول: «اللهم رب هذه الدعوة المستجابة المستجاب لها، دعوة الحق وكلمة الإخلاص أحيني عليها، وتوفني عليها، واجعلني من صالح أهلها عملاً»[٣].

وكان سعد يقول: من قال إذا سمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، غفر له ذنبه بها مع كل شاهد، وأكملها عن كل جاحد.

وقال الحسن: إذ أذن المؤذن لم يبق دابة، ولا شجر إلا تواضعت واستمعت، ثم بكى الحسن بكاءً شديداً.

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ١٢، وأبو داود حديث ٥٢٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٤٠٩.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ٨، وتفسير سورة ١٧، باب ١١، وأبو داود في الصلاة باب ٣٧، والترمذي في الفضائل باب ٤٣، والنسائي في الأذان باب ٣٨، وابن ماجه في الإقامة باب ٤.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ ابن السني في عمل اليوم والليلة ٩٦، وروي الحديث بلفظ: «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة. . . .»، أخرجه بهذا اللفظ البخاري في الأذان باب ٨، وتفسير سورة ١٧، باب ١١، والترمذي في الصلاة باب ٤٣، والنسائي في الأذان باب ٣٨، وابن ماجه في الأذان باب ٤.

وقال فاتك الديلمي: كنا عند الفضيل بن عياض فأذن المؤذن فبكى حتى بل الحصى ثم قال: لا أشبهه إلا بالنداء، يعني النفخ في الصور.

وكان عطاء السلمي إذا سمع الأذان يبكي بكاءً شديداً ويرتعد وينتفض، فقيل له في ذلك، قال: إني أريد أن أقدم على أمر عظيم، إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وكان منصور ابن صفية يبكي عند كل وقت صلاة، فكانوا يرون أنه يذكر الموت والقيامة عند الصلوات.

باب: الدعاء عند الخروج من المنزل

من صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حتى يرتحل من منزله ذلك»[١].

وروى أبو داود عن أبي مالك الأشعري قال: قال النبي ﷺ: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير الولوج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»[٢].

وروت أم سلمة قالت: ما خرج النبي ﷺ من بيتي قط إلا رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل، أو أزل أو أُزل، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علي»[٣].

قال: وروى أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذٍ: هُديت، وكُفيت، ووُقيت، ويتنحى له الشيطان، فيقول شيطان آخر: كيف لك

(١) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٥٤، والترمذي حديث ٣٤٣٧، وأحمد في المسند ٦/ ٣٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٥٣.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٩٦، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٣٦، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٤٤٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٩٤، وابن ماجه حديث ٣٨٨٤، وأحمد في المسند ٦/ ٣٢٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٤٢.

برجل قد كُفي وهُدي ووُقي»[١].

وقال ابن عمر: إذا خرجتم من بلادكم فأشرفتم على المدينة أو القرية فقولوا: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الشياطين وما أضلت، أسألك خير هذا المنزل وخير ما فيه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه، اللهم ارزقنا خيره، واصرف عنا أذاه، وارزقنا رضاه، وحبب إليّ عبادك الصالحين، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

باب: الدعاء عند دخول المسجد

روى مسلم في الصحيح أن النبي - ﷺ - قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك». وإذا فرغ فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[٢].

زاد أبو داود فقال فيه: إذا دخل المسجد فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان»[٣].

ومنه أيضاً قال أبو هريرة: قال لي كعب الأحبار: يا أبا هريرة احفظ مني اثنتين، أوصيك بهما: إذا دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ، وقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت من المسجد فصل على النبي ﷺ، وقل: اللهم احفظني من الشيطان»[٤].

وروى أبو داود أن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني أنك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي - ﷺ - أنه كان إذا

---

(١) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٧٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٤١٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٤٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٥٨.

(٢) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ٦٨، وأحمد في المسند ٥/ ٤٢٥، والنسائي ٢/ ٢٣، والدارمي ٢/ ٢٩٣، وابن كثير في تفسيره ٤/ ٢٧٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٠.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ٤٦٥، وابن ماجه حديث ٧٧٢، ٧٧٣، والدارمي ١/ ٣٢٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٤٤١.

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٤٥.

دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، قال: أقط؟ قال؟ نعم، قال فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم، فكان ابن عمر يبدأ برجله اليمنى إذا دخل، فإذا خرج بدأ برجله اليسرى[1].

باب: الدعاء في أثناء الصلاة

لم يرو أصحاب الصحيح دعاء معيناً قبل الدخول في صلاة الفريضة، وإنما رووا فيه الدعاء قبل النافلة على ما سنذكره، إن شاء الله تعالى.

روى البخاري عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبيرة وبين القراءة اسكاتة، أحسب قال: هنية، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟.

اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول؟.

قال: أقول: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد»[2].

وروى النسائي عن أبي هريرة قال: سألت رسول الله ﷺ ما يقول في سجوده؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته؛ سبحان الله وبحمده»[3]، وروى أبو داود عن علي بن أبي طالب ـ عليه رضوان الله ـ إذا قام إلى الصلاة كبر ثم قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن

(١) أخرجه بنحوه أبو داود في الصلاة باب (ما يقوله الرجل عند دخوله المسجد). والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٥٩، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٧٩٦١.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ٨٩، والدعوات باب ٣٩، ٤٤، ٤٦، ومسلم في المساجد حديث ١٤٧، والذكر حديث ٤٨، وأبو داود في الصلاة باب ١٢١، والترمذي في الدعوات باب ٧٦، والنسائي في الطهارة باب ٤٧، والافتتاح باب ١٥، وابن ماجه في الإقامة باب ١، والدعاء باب ٣، والدارمي في الصلاة باب ٣٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣١، ٤٩٤، ٤/ ٣٨١، ٦/ ٥٧، ٢٠٧.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

صلاتي، ونسكي، ومحياي، ومماتي لله رب العالمين [لا شريك له] وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله بين يديك، أنا لك، وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظامي.

وإذا رفع قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السموات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعده.

وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وسجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صوره، وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين.

وإذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت به أعلم مني، أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت»[1].

قال: وروى أبو سعيد الخدري قال: كان النبي - ﷺ - إذا قام من الليل كبر ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله، ثلاثاً».

ثم يقول: الله أكبر كبيراً - ثلاثاً - أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه، ونفخه، ونفثه، ثم يقرأ»[2].

---

(١) أخرجه مسلم في المسافرين حديث ٢٠١، ٢٠٢، وأبو داود في الأضاحي باب ٤، والترمذي في الدعوات باب ٣٢، والنسائي في الافتتاح باب ١٧، وابن ماجه في الأضاحي باب ١، والدارمي في الأضاحي باب ١.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ١١٩، ١٢٠، والترمذي في المواقيت باب ٦٥، وابن ماجه في =

وروى مالك في موطأه عن رفاعة بن رافع قال: كنا نصلي وراء رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: من المتكلم؟ قال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً»[١].

قال مالك: لا بأس بالدعاء في الصلاة أولها وأوسطها وآخرها في الفريضة وغيرها.

وروى البخاري وغيره عن أبي بكر الصديق أنه قال للنبي ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: قل «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

وروي ابن مسعود قال: كان النبي - ﷺ - إذا سجد قال: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك عليَّ، هذه يدي بما جنيت على نفسي وظلمت نفسي، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت»[٣].

وروى عن أبي أمامة أنه قال: ما دنوت من نبيكم في صلاة مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يدعو بهؤلاء الدعوات لا يخرج عنهن، ولا يزيد فيهن: «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها، ولا يصرف سيئها إلا أنت»[٤].

= الإقامة باب ٢، والدارمي في الصلاة باب ٣٣، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٣، ٤٠٤، ٣/ ٥٠، ٤/ ٨٠. ٨١، ٨٣، ٨٥، ٦/ ١٥٦.

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٤٩، والتوحيد باب ٩، والدعوات باب ١٦، ومسلم في الذكر حديث ٤٧، ٤٨، والحدود حديث ٢٣، وابن ماجه في الدعاء باب ٢، والترمذي في الدعوات باب ٩٦، والنسائي في السهو باب ٥٩، وأحمد في المسند ١/ ٤، ٧.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٣/ ٧٥، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٩٨١٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٢٨.

(٤) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٣٦٦٧، وابن السني في عمل اليوم والليلة ١١٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٩٨، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٢.

وروى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال حين يفتتح الصلاة: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين، ثم يقول: اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، سبحانك فاغفر لي ذنوبي جميعاً، لا يغفر الذنوب إلا أنت، لبيك وسعديك، أنا لك وإليك، لا منجى منك إلا إليك، أستغفرك وأتوب إليك.

فإذا ركع قال: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، أنت ربي، خشع سمعي وبصري، ومخي وعظامي لله رب العالمين.

فإذا رفع من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وما شئت من شيء بعده.

ثم إذا سجد قال في سجوده: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، وإليك أسلمت، وأنت ربي، سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين.

ثم يقول عند انصرافه من الصلاة: اللهم اغفر ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت، أنت الله لا إله إلا أنت، إلهي لا إله إلا أنت»[١].

وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قلت: كنت نائمة إلى جنب رسول الله ﷺ ففقدته من الليل، فلمسته بيدي، فوقعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول: أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢].

وروى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ يدعو

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٢٢٢، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٨، والوتر باب ٥، والترمذي في الدعوات باب ٧٥، ١١٢، والنسائي في الطهارة باب ١١٩، والسهو باب ٨، وقيام الليل باب ٥١، وابن ماجه في الإقامة باب ١١٧، والدعاء باب ٣، وأحمد في المسند ١/٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦/٥٨، ٢٠١.

في الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم، قال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف»[١].

قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال.

وروى أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله - ﷺ - أخذ بيده وقال «يا معاذ إني لأحبك، وأوصيك، يا معاذ لا تدعن في صلاتك أن تقول: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى بها الصنابحي أبا عبد الرحمن الحبلي»[٢].

وروى البخاري عن عبد الله أن النبي ﷺ علمهم التشهد في الصلاة وقال: «ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو»[٣].

دل هذا الأثر على أن للإنسان أن يدعو في صلاته بما يختاره لنفسه.

باب: الإشارة في الدعاء

روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص قال: مر النبي - ﷺ - وأنا أدعو بإصبعي فقال: «أحِّد أحِّد» وأشار بالسبابة[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٤٩، والدعوات باب ٣٩، ٤٤، ومسلم في المساجد حديث ١٢٩، والذكر حديث ٤٩، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٩، والترمذي في الدعوات باب ٧٦، والنسائي في الاستعاذة باب ١٧، ٢٦، ٣٣، وابن ماجه في الدعاء باب ٣، وأحمد في المسند ٢/١٨٥، ١٨٦.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٥٢٧، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/٢٨٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٧٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/٤٥٤.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٥٠، ومسلم في الصلاة حديث ٥٧، ٥٨، وأبو داود في الصلاة باب ١٧٨، والنسائي في التطبيق باب ١٠٠، والسهو باب ٤٣، ٥٦، والدارمي في الصلاة باب ٨٤، وأحمد في المسند ١/٣٨٢، ٤١٣.

(٤) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ٢٣، والترمذي في الدعوات باب ١٠٤، والنسائي في السهو باب ٣٧.

باب: الدعاء في أثر الصلاة

روى البخاري ومسلم عن أبي الدرداء وأبي هريرة قال: قلت يا رسول الله، ولفظ البخاري: جاء الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويجاهدون كما نجاهد، ولهم فضول أموالهم يتصدقون بها، فقال النبي ﷺ لا أخبركم بشيء إذا فعلتموه أدركتم من كان قبلكم، ولم يلحقكم من كان بعدكم، وكنتم خير من بين ظهرانيها إلا من قال مثل ما قلتم، تسبحون الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمدونه ثلاثاً وثلاثين، وتكبرونه أربعاً وثلاثين»[1].

قال الراوي: فاختلفنا بيننا فقال بعضهم: نسبح ثلاثاً وثلاثين، ونحمد ثلاثاً وثلاثين، ونكبر أربعاً وثلاثين، فرجعت إليه فقال: يقول سبحان الله، والحمد لله والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثين».

وكتب المغيرة إلى معاوية أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2]، وروى النسائي عن ثوبان قال: كان النبي - ﷺ - إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٥٥، والدعوات باب ١٧، ومسلم في المساجد حديث ١٤٢، والزكاة حديث ٥٣، وأبو داود في الوتر باب ٢٤، وابن ماجه في الإقامة باب ٣٢، والدارمي في الصلاة باب ٩٠، وأحمد في المسند ٢/٢٣٨، ٥/١٦٧، ١٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب ١٥٥، والاعتصام باب ٣، والقدر باب ١٢، والدعوات باب ١٧، ومسلم في الصلاة حديث ١٩٤، ٢٠٥، ٢٠٦، والمساجد حديث ١٣٧، ١٣٨، وأبو داود في الصلاة باب ١٤٠، والوتر باب ٢٥، والأدب باب ٨٨، والترمذي في الصلاة باب ١٠٨، والنسائي في التطبيق باب ٢٥، والسهو باب ٨٥، ٨٩، والدارمي في الصلاة باب ٧١، ٨٨، ومالك في القدر حديث ٨، وأحمد في المسند ٣/٨٧، ٤/٩٣، ٩٧، ١٠١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٨٥.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٣٥، ١٣٦، وأبو داود في الوتر باب ٢٥، والترمذي في الصلاة باب ١٠٨، والنسائي في السهو باب ٨١، ٨٢، وابن ماجه في الإقامة باب ٣٢، والدارمي في الصلاة باب ٨٨، وأحمد في المسند ٥/٢٧٥، ٢٧٩، ٦/٦٢، ١٨٤، ٢٣٥.

وروى أبو هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «من سبح في دبر كل صلاة مكتوبة مئة مرة، وكبر مئة مرة، وهلل مئة مرة، وحمد مئة مرة، غفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر»(١).

وروى النسائي، وأبو داود عن أبي هريرة أن النبي - ﷺ - قال: «من قال خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تكبيرة، وثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميده، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير، غُفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وفي بعض رواياته «وإن كانت أكثر من زبد البحر»(٢).

وقال كعب: إنا نجد في التوراة أن داود نبي الله عليه الصلاة والسلام كان إذا انصرف من الصلاة قال: «اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته لي عصمة، وأصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من نقمتك، وأعوذ بك منك، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٣).

وروى أبو داود عن ابن الزبير قال: كان النبي - ﷺ - إذا انصرف من الصلاة يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»(٤).

وروى أنه قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول دبر صلاته «اللهم ربنا ورب كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الرب، وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل

(١) أخرجه مسلم في المساجد حديث ١٤٢، وأبو داود في الأدب باب ١٠٠، والترمذي في الدعوات باب ٢٤، ٢٥.
(٢) انظر الحاشية السابقة.
(٣) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٧١، والنسائي في السهو باب ٨٩، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٩.
(٤) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ٣، والنسائي في السهو باب ٨٣، ٨٦، والترمذي حديث ٢٩٩، ٣٤٢٨، ٣٤٢٩، وابن ماجه حديث ٢٢٣٥، ٣٧٩٩.

شيء، أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة، اللهم ربنا ورب كل شيء، اجعلني مخلصاً لك وأهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة، يا ذا الجلال والإكرام، اسمع واستجب، الله أكبر، الله أكبر [الله] نور السموات والأرض، الله أكبر، الله أكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر»(١).

وروى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(٢).

وروى أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا سلم قال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»(٣).

وقال فيه: كان إذا أراد أن ينصرف استغفر ثلاث مرات، ثم قال: «اللهم. . .» فذكر مثل حديث عائشة.

وعن أبي أيوب الأنصاري عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من قال في دبر صلاة الغداة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كنَّ له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل»(٤).

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، هما يسير، ومن يعمل بهما

---

(١) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ٣، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٩، والسيوطي في الدر المنثور ٤٧١٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢/ ٩٤، ٥/ ٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في التهجد باب ١، والتوحيد باب ٨، ٢٤، ٣٥، ومسلم في المسافرين حديث ١٩٩، ٢٠٠، وأبو داود في الصلاة باب ١١٩، والوتر باب ٢٥، والترمذي في الدعوات باب ٢٩، والنسائي في التطبيق باب ٦٦، وابن ماجه في الإقامة باب ١٨٠، والدارمي في الصلاة باب ١٦٩، ومالك في القرآن حديث ٢٤، وأحمد في المسند ١/ ٩٥، ١٠٣، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٥٨، ٣٦٦، ٢/ ٢٩١، ٥١٤، ٤/ ٣٩١، ٦/ ١٤٧.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٥٣.

قليل، يسبح في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلكم ثلاثون باللسان، وثلاث مئة في الميزان، ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، فذلك مئة باللسان وألف في الميزان، فلقد رأيت رسول لله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل؟ قال: يأتي أحدكم في منامه ـ يعني الشيطان ـ فينومه قبل أن يقولها، ويأتيه في صلاته فيذكر حاجة قبل أن يقولها»(١).

وروى أبو داود عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ـ ﷺ ـ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة»(٢)، وروى أبي بن كعب قال: كان النبي ﷺ: إذا سلم في الوتر قال: «سبحان الملك القدوس»(٣)، وروى النسائي عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «من قال دبر كل صلاة الفجر، وهو ثانٍ رجله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كتب الله له في كل واحدة قالها عتق رقبة، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرز من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله»(٤).

باب: الدعاء الذي يوجب الجنة والشهادة

روى النسائي، وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة» قال: ففرحت بذلك وسررت به(٥) وروى أنس قال: قال النبي ﷺ: «من سأل الجنة ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»(٦)..

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠٠، والترمذي في الدعوات باب ٢٥، والنسائي في السهو باب ٩١، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠، ٢٠٥.
(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٦، والنسائي في السهو باب ٨٠.
(٣) أخرجه أبو داود حديث ١٤٣٠، وأحمد في المسند ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٩، ٤٠، ٤١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٤١.
(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٥٨.
(٥) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٦، والنسائي في الجهاد باب ١٨.
(٦) أخرجه الترمذي حديث ٢٥٧٢، وابن ماجه حديث ٤٣٤٠، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٨.

وروى أبو داود عن سهل بن حنيف قال: قال النبي ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»(١).

باب: الدعاء عند سماع الديكة

روى البخاري، ومسلم، وأبو داود أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتمْ صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطاناً»(٢).

وروى أبو داود عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمار فتعوذوا بالله، فإنهن يرين ما لا ترون»(٣).

قال زيد بن خالد قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة»(٤).

باب: أكثر ما يدعو به النبي ﷺ

روى النسائي عن أبي أمامة قال: مر النبي ﷺ، وأنا أحرك شفتي فقال: «ماذا تقول يا أبا أمامة؟ قال: اذكر ربي».

قال: أخبرك بأكثر أو أفضل من ذكرك الليل مع النهار، والنهار مع الليل؟ أن تقول: سبحان الله عدد ما في السموات وما في الأرض، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما لا يحصى في كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء، وتقول: الحمد لله مثل ذلك»(٥).

وروى البخاري وأبو داود قال [قتادة] سألت أنس بن مالك أي دعوة يدعو

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث ٢٧٩٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٧٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ١٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ١٥، ومسلم في الذكر حديث ٨٢، والترمذي في الدعوات باب ٥٦، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٦، ٣٢١، ٣٦٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٠٦، ٣٥٥.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١١٥، ٥/ ١٩٣.

(٥) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ١٩٤، ٢٠٢، والمسافرين حديث ٢٠١، والترمذي في المواقيت باب ٨٢، والدعوات باب ٣٢، والنسائي في التطبيق باب٢٥، وابن ماجه في الإقامة باب ١٨.

بها، فقال: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[١].

زاد أبو داود، وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها».

باب: هل يدعى على السارق

روى أبو داود عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال: سرقت ملحفة لها: فجعلت تدعو على من سرقها، فجعل النبي ﷺ يقول: «لا تُسَبِّخي عنه»[٢] يعني: لا تخفّفي عنه.

باب: الدعاء عند النوم

روى مالك والبخاري والجماعة عن البراء بن عازب قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه وضع يده تحت خده الأيمن ثم قال: «اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٣].

وقال البراء: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول»[٤].

وفي بعض رواياته: «فإن مات تحت ليلته مات على الفطرة [قال البراء] استذكرهن فقلت: «وبرسولك الذي أرسلت، قالْ: لا، ونبيك الذي أرسلت».

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٥٥، ومسلم في الذكر حديث ٢٣، ٢٦، وأبو داود في الوتر باب ٢٦، والمناسك باب ٥١، والترمذي في الدعوات باب ٧١، وابن ماجه في المناسك باب ٣٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٠١، ١٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٤٧، ٢٧٧، ٢٨٨، ٤١١.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٣، والأدب باب ٤٦، وأحمد في المسند ٦/ ٤٥، ١٣٦.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٤٥، والترمذي حديث ٣٣٩٨، وابن ماجه حديث ٣٨٧٧، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٠، ٤١٤، ٤٤٣، ٤/ ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٦/ ٢٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء باب ٧٥، والدعوات باب ٥، ومسلم في الذكر حديث ٥٦، وأبو داود في الأدب باب ٩٨.

قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره؛ فإنه لا يدري ماذا خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١].

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه وضع يده تحت خده ثم يقول: «[اللهم] باسمك أحيا وأموت، وإذا قام قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[٢].

وروى علي أن فاطمة شكت ما تلقى من الرحا في يدها، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته، قالت: فجاء وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال: «مكانك، حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: ألا أدلكما على خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين، وسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فذلك خير لكما من خادم».

وفي بعض روايته: «أربعاً وثلاثين»[٣].

وروى أنس أن النبي - ﷺ - كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وكفانا، فكم ممن لا كافي له، ولا مؤوي له»[٤].

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ١٢، والتوحيد باب ١٣، ومسلم في الذكر حديث ٦٢، وأبو داود في الأدب باب ٩٨، والترمذي في الدعاء باب ٢٠، وابن ماجه في الدعاء باب ١٥، والدارمي في الاستئذان باب ٥١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٨، ٢٩٥، ٤٢٢، ٤٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٧، ١٦، ومسلم في الذكر حديث ٥٨، وأبو داود في الأدب باب ٩٨، وابن ماجه في الدعاء باب ١٦، والدارمي في الاستئذان باب ٥٣، وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٤، ٣٠٢، ٥/ ١٥٤، ٣٨٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠٧.

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ٩، والخمس باب ٦، والنفقات باب ٦، والدعوات باب ١٠، وأبو داود في الأدب باب ١٠٠، وأحمد في المسند ١/ ١٣٦، ١٥٣، ٢٩٨.

(٤) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٦٤، والترمذي حديث ٣٣٩٦، ٣٤٥٧، وأبو داود في الأدب باب ١٠٦، والأطعمة باب ٥٣، وابن ماجه حديث ٣٢٨٣، وأحمد في المسند ٣/ ٣٢، ٩٨، ١٥٣، ١٦٧، ٢٥٣.

وروت عائشة ـ ﷺ ـ قالت: «كان النبي ـ ﷺ ـ إذا أخذ مضجعه نفث في يده وقرأ المعوذات، ومسح بها جسده»[١]. قالت: وكان النبي ـ ﷺ ـ يقول إذا أراد النوم: «اللهم إني أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة، نافعة غير ضارة، فكانت إذا قالت هذا عرفوا أنها غير متكلمة بشيء حتى تستيقظ من النوم»[٢].

وروى أبو داود عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللهم رب السماوات، ورب الأرض، ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر»[٣].

وروى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ كان يقول عند مضجعه: «اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم، اللهم لا يهزم جندك، ولا تخلف وعدك، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك»[٤].

وروى أبو الأزهر الأنماري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «باسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخسئ شيطاني، وفك رهاني، واجعلني في الندى الأعلى»[٥].

وروى فروة بن نوفل عن أبيه أن النبي ﷺ قال لنوفل: «أقرأ قل يا أيها الكافرون» ثم نم على خاتمتهما فإنها براءة من الشرك»[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في الطب باب ٣٩، وابن ماجه في الدعاء باب ١٥.

(٢) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٦١، وأبو داود في الأدب باب ٩٨، والترمذي في الدعوات باب ١٩، ٦٧، وابن ماجه في الدعاء باب ١٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٢.

(٤) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٦١، ٦٢، وأبو داود في الأدب باب ٩٨، والترمذي في الدعاء باب ١٩، ٦٧، وابن ماجه في الدعاء باب ٦، ١٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨١، ٤٠٤، ٥٣٦.

(٥) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٩٨.

(٦) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٩٨.

وروى ابن عمر أن النبي - ﷺ - كان يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني، وأواني، وأطعمني، وسقاني، ومنَّ علي فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه، وإله كل شيء، أعوذ بك من النار»[(١)].

وروى عرباض بن سارية أن النبي - ﷺ - كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد، قال: لأن فيهن آية أفضل من ألف آية»[(٢)].

باب: الدعاء عند القيام من الليل للتهجد بالأسحار

روى مالك ومسلم والجماعة عن ابن عباس قال: «بت عند خالتي ميمونة زوج النبي - ﷺ - فنام حتى إذا انتصف الليل - أو قبله بقليل، أو بعده بقليل - فاستيقظ النبي - ﷺ - فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الخواتيم من سورة آل عمران، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخرها، ثم توضأ فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي، فقمت وراءه، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضجع حتى أتاه المؤذن فقام وصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح»[(٣)].

روى مالك في الموطأ، والبخاري وغيرهم عن ابن عباس أن النبي، ﷺ، كان إذا قام من جوف الليل يقول: «لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق»[(٤)].

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) انظر الحاشية ما قبل السابقة.

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب ٤١، والوضوء باب ٥، والأذان باب ٥٧، ٥٩، ١٦١، وتفسير سورة ٣، باب ١٧، ١٨، واللباس باب ٧١، والأدب باب ١١٨، والتوحيد باب ٢٧، ومسلم في المسافرين حديث ١٨١، ١٨٢، ١٨٤ - ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، والنسائي في الإقامة باب ٢٢، والتطبيق باب ٦٣، وابن ماجه في الطهارة باب ٤٨، والإقامة باب ٤٤.

(٤) أخرجه البخاري في التهجد باب ١، والدعوات باب ٩، والتوحيد باب ٨، ٢٤، ٣٥، ومسلم =

وزاد البخاري: والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وبك حاكمت، اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك»(١).

وروى عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن قام فتوضأ وصلى قُبلت صلاته»(٢).

وروى ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة، فقام النبي ﷺ فأتى حاجته، ثم توضأ بين وضوئين لم يكثر ولم يقل، فصلى، ثم اضطجع فصلى، ثم اضطجع ولم يتوضأ، وكان في دعائه: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، وتحتي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»(٣).

وروى أبو داود عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً، فيتعار من الليل فيسأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه»(٤).

وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ ما سأل الله خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه(٥).

وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا استيقظ من الليل

= في المسافرين حديث ١٩٩، والترمذي في الدعوات باب ٨٢، والنسائي في قيام الليل باب ٩، وابن ماجه في الدعاء باب ١٠.

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٣) تقدم الحديث مع تخريجه قبل قليل.

(٤) تقدم الحديث مع تخريجه.

(٥) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

قال: «لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم إني أستغفرك لذنبي، وأسألك برحمتك، اللهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب»[١].

باب: الدعاء في السحر

روى مسلم وأبو داود أن النبي ﷺ إذا كان في السفر وأسحر يقول «سمع سامع بحمد الله، وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا وأفضل علينا، عائذاً بالله من النار»[٢].

باب: الدعاء عند الصباح والمساء

من صحيح مسلم وأبي داود أن النبي ـ ﷺ ـ كان إذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، أسألك خير ما في هذه الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، أعوذ بك من عذاب في النار، وأعوذ بك من عذاب في القبر، وإذا أصبح قال مثل ذلك أيضاً، أصبحنا وأصبح الملك لله...»[٣].

وروى النسائي وأبو داود عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «من قال حين يصبح اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه، ذلك اليوم، من النار»[٤] وإن قال أربع مرات أعتقه الله ذلك اليوم من النار.

ورواه من طريق آخر ولم يذكر العتق، وقال في آخره: «إلا غفر الله له ما أصاب»[٥] يعني تلك الليلة.

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٩٩، والترمذي في الدعوات باب ٨٩.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٦٨، وابن السني في عمر اليوم والليلة ٥٠٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٢٤.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٧٤، ٧٦، وأبو داود في الأدب باب ١٠٩، والترمذي حديث ٣٣٩٠، وأحمد في المسند ١/ ٤٤٠.

(٤) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٧٨، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٣٠.

(٥) انظر الحاشية السابقة.

وروى أنس عن أبي هريرة قال: دخل أبو بكر على رسول الله - ﷺ - فقال: كيف أصبحت يا رسول الله؟ فقال: «صالح، من رجل لم يصبح صائماً، ولم يعد مريضاً، ولم يتبع جنازة»(١).

وروى عنه أنه قال: «من قال حين يصبح ثلاثاً، وحين يمسي: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة»(٢).

وروي عن النبي - ﷺ - أنه كان إذا أصبح يقول: أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد - ﷺ - وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»(٣).

وروى أبو داود عن النبي - ﷺ - قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر إلا أدى الشكر ذلك اليوم، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»(٤).

وروي عنه أنه كان يقول إذا أصبح: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور»(٥).

وقال سمرة بن جندب: سمعت النبي ﷺ يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني، وأنت تطعمني وتسقيني، وتميتني

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٧٧.
(٢) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ٢٣٦٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٩، ٧٥، ١٢٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٦٦، ٣٤٩٠، ٣٥٠٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٦٦، ٩٥.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٦٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٥.
(٤) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠٩، والذهبي في ميزان الاعتدال ٤٤٩٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٨٦.
(٥) أخرجه الترمذي حديث ٣٣٩١، وابن ماجه حديث ٣٨٦٨، وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٤، ٥٢٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٣٨٩.

وتحييني، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه» فحدثت به عبد الله بن سلام فقال: هؤلاء كلمات أعطاهن الله موسى بن عمران كان يدعو في كل يوم سبع مرات[1].

وروى أنس أن النبي - ﷺ - قال لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما وصيتك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[2].

وروى عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله - ﷺ - يقول إذا أصبح: «أصبحنا وأصبح الملك، والكبرياء، والعظمة، والخلق، والأمر، والليل، والنهار، وما سكن فيهما لله وحده لا شريك له، اللهم اجعل أول النهار صلاحاً؛ وأوسطه فلاحاً، وآخره نجاحاً، أسألك خير الدنيا، وخير الآخرة يا أرحم الراحمين»[3].

وروى البراء بن عازب أن رسول الله - ﷺ - كان يقول حين يصبح: «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده»[4].

وروى أبو داود عن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ورب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان، وشركه، قال: قلهما إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك»[5].

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٨.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٧٨.

(٣) أخرجه بنحوه مسلم في الذكر حديث ٧٥، وأبو داود في الأدب باب ١٠٩، والترمذي حديث ٣٣٩٠، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤١٤، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ١٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٤٩٣، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣٣١، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١٠، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٤، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٣٩.

(٤) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١١، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٣٣٢.

(٥) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٦٧، والدارمي ٢/ ٢٩٢، وأحمد في المسند ١/ ٩، وعبد الرزاق =

وروى أن ابن عمر قال: لم يكن رسول الله - ﷺ - يدع هذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، ومن تحتي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»[1]. قال وكيع: يعني الخسف.

وروي ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يصبح: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧، ١٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝٢٥﴾ [الروم: ٢٥] أدرك ما فاته في ليلته[2].

وروى معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه أنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله - ﷺ - ليصلي لنا، فأدركناه فقال: «قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل، فقلت: يا رسول الله ما أقول؟».

فقال: «قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي، وحين تصبح، ثلاث مرات يكفيك الله من كل شيء»[3].

وروى أبو مالك قالوا: يا رسول الله، حدثنا بكلمة نقولها إذا أصحبنا وإذا

= في المصنف ١٩٨٣٢، والبخاري في الأدب المفرد ١٢٠٢، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٧٣٤، وابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٤٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٣، والنسائي في عمل اليوم والليلة ١٧٨.

(١) أخرجه أبو داود حديث ٥٣٥٨، وابن ماجه حديث ٣٨٧١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥، والحاكم في المستدرك ١/ ٥١٧، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٥٥٥.

(٢) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٤٤٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٣٩٤، وأبو داود حديث ٥٠٧٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٥٤، ٧٧، وابن كثير في تفسيره ٦/ ٣١٤.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠٩، والترمذي حديث ٣٥٧٥، والنسائي في الاستعاذة، باب ١، وأحمد في المسند ٥/ ٣١٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢١٦٣ وابن كثير في تفسيره ٨/ ٥٤٣.

أمسينا واضطجعنا، فأمرهم أن يقولوا: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة رب كل شيء، والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت، فإنا نعوذ بك من شر أنفسنا، ومن شر الشيطان الرجيم وشركه، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا، أو نجره إلى مسلم»[١].

وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح أحدكم فليقل: أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه، وأعوذ بك من شر ما فيه، وشر ما بعده، ثم إذا أمسى فليقل: باسم الله مثل ذلك»[٢].

وروى شريق الهوزني قال: دخلت على عائشة فسألتها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح إذا هب من الليل؟ فقالت: «إذا هب من الليل كبر عشراً، وحمد عشراً، وقال سبحان الله وبحمده عشراً، وقال سبحان [الملك] القدوس عشراً، واستغفر الله عشراً، وهلل عشراً ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا، وضيق يوم القيامة عشراً، ثم يفتتح الصلاة»[٣].

ومن صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً، وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم النبي ﷺ[٤].

وروى أبو داود قال: قال النبي ﷺ: «من قعد في مصلاه حين يصلي الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفرت له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر»[٥]، وفي بعض رواياته: كان النبي ﷺ إذا صلى الصبح ركع

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠١.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٨٤، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٣٣٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١١.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠١.

(٤) أخرجه مسلم في المساجد حديث ٢٨٧، وأحمد في المسند ٥/ ١٠٠، وابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٣٧.

(٥) أخرجه أبو داود حديث ١٢٨٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٤٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ١/ ٢٩٥، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٢٩٩.

في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناً»[1].

وروى أبو عبيد في كتاب المواعظ عن أنس يرفعه قال: «ألا أخبركم بم سمى الله إبراهيم خليله ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]؟ لأنه كان يقول إذا أصبح: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧﴾ [الروم: ١٧] حتى يختم الآية[2].

وقيل للحسن البصري: الرجل يجلس في مصلاه بعد الفجر أحب إليك أم إلى باب القاضي؟ قال: بل الذي يجلس في مجلسه أحب إليَّ.

وقال عطاء: أستحب أن لا تقوم حتى تفرغ من تسبيحك، لأن الملائكة تصلي على العبد ما لم يقم من مصلاه ما لم يحدث.

قال: ويستحب أن لا يتكلم حتى يفرغ منه، غير أنهم والله ما يدعوننا».

وكان ابن مسعود إذا استأذن عليه الصحابة قال للخادم: انظر هل طلعت الشمس؟ فإن قال: لا، لم يجبهم، وإن قال: نعم حدثهم.

وقال مجاهد: لقي الزبير عبيد بن عمير فقال: أين كنت؟ قال: كنت متصبحاً، قال: ما بلغك أن الأرض ضجت إلى ربها من نوم العلماء عليها قبل طلوع الشمس؟.

وروى عن ابن عباس أنه مر العباس بابنه فركله برجله فقال: نعم، فقال: إنك لتنام الساعة التي يقسم الله فيها الرزق لعباده.

قال: وقد قالت العرب: هي مكسلة مهرمة، منسأة للحاجة، ثم قال: يا بني؟ نوم النهار على ثلاثة:

نومة حمق، وهي: نومة الضحى.

ونومة خلق، وهي: التي روى «قيلوا فإن الشيطان لا يقيل».

ونومة خرق، وهي: النومة بعد العصر، لا ينامها إلا سكران.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٠٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ١٨، وابن حجر في فتح الباري ٩/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه القرطبي في تفسيره ٧/ ٦٢٨٣.

وقال رجل لحذيفة بن اليمان: جئتك اليوم بعد صلاة الصبح فلم أجدك فحسبتك نائماً، فقال: ما أحب أن تحسبني أنام في ذلك الوقت، فإن الصحابة كانوا لا ينامون بعد صلاة الصبح حتى يعلموا من حيث تطلع الشمس، ومن ههنا أمر بالذكر مخافة طلوع الشمس من مغربها.

وقال الأوزاعي: كان السلف إذا انصدع الفجر ـ أو قبله شيئاً ـ كأنما على رؤوسهم الطير، حتى لو أن حميماً لأحدهم جاء من غيبة ما التفت إليه، فلا يزالون كذلك حتى يكون قريباً من طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتحلقون، فأول ما يفيضون فيه أمر معادهم،وما هم صائرون إليه، ثم يتحولون إلى الفقه والقرآن.

وقال مالك بن أنس: لا بأس بالكلام بين ركعتي الفجر إلى صلاة الفجر.

وكان سالم بن عبد الله يتحدث قبل طلوع الفجر إلى أن تقام الصلاة، قال: وكل من أدركت من علمائنا يفعل ذلك، ولم يزل عليه أمر الناس، قال: وإنما يكره الكلام بعد الصلاة إلى طلوع الشمس، ولقد رأيت نافعاً وموسى بن ميسرة وسعيد بن أبي هند يتفرقون بعد أن يصلوا الصبح فيجلسون للذكر وما يكلم أحد منهم صاحبه اشتغالاً بذكر الله.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كان النبي ـ ﷺ ـ يصلي إحدى عشرة ركعة ثم يضطجع على شقه الأيمن، فإن كنت يقظانة حدثني حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، وذلك بعد طلوع الفجر[1].

قال مالك: رأيت ربيعة وابن هرمز يصليان الصبح ثم يقيمان في المسجد حتى يصليا الضحى، وربما انصرفا قبل أن يتكلما اشتغالاً بذكر الله تعالى.

ورأيت في الحديث قال جابر: خرجت سرية فغنمت فأسرعت، فعجب الناس لذلك وتحدثوا به، فقال النبي ﷺ: «ألا أدلكم على أعظم منه غنيمة وأوشك رجعة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: رجل صلى الصبح ثم ثبت في

(١) أخرجه البخاري في الوتر باب ١، والتهجد باب ٣.

مجلسه يذكر الله حتى طلعت عليه الشمس، فذلك أعظم غنيمة وأوشك رجعة»(١).

باب: الدعاء عند الهم والدين وضيق المعيشة

روى أبو داود ـ وأظنه في البخاري، عن أبي سعيد الخدري قال: دخل النبي ﷺ فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم ركبتني وديون يا رسول الله، قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟ قلت: بلى يا رسول الله.

قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

قال: فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني(٢).

وقالت عائشة: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من هذا الدعاء، يقول: «اللهم اجعل أوسع رزقك عليَّ عند كبري، وانقطاع عمري»(٣).

وقل هشام بن عروة: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره وتلا: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢].

وكان بكر بن عبد الله إذا ناب أهله خصاصة يقول: قوموا فصلوا؛ بهذا أمر رسولُ الله، ثم يتلو هذه الآية.

وقال أبو رافع: أرسلني ـ النبي ـ ﷺ ـ إلى يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن النبي ـ ﷺ ـ فأنزل الله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٧٥.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٣٢، والأدب باب ١٠١، والبخاري في الدعوات باب ٣٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨٢، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤٠، وابن كثير في تفسيره ١/ ٤٧٢.

أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[١] [طه: ١٣١].

قرئ على القاضي أبي الوليد ـ وأنا أسمع ـ قال بعض الرواة: رأيت امرأة بالبادية جاء البرد فذهب بزرع كان لها، فجاء الناس يعزونها، فرفعت رأسها إلى السماء وقالت: اللهم أنت المأمول لأحسن الخلف، وبيدك التعويض مما تلف، فافعل كما أنت أهله.

فلم أبرح حتى مر رجل من أهل الغنى فحُدث بما كان، فوهب لها نحواً من خمس مئة دينار.

وقال بعض الشعراء:

أيها السائل العباد ليعطي ... إن لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم ... وارج فضلاً من قاسم عواد

باب: الدعاء عند الخوف والدخول على السلاطين

روى أبو داود عن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى[٢].

وقال جعفر الصادق: عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] والله سبحانه يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وعجبت لمن بلي بالغم، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله سبحانه يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨] وعجبت لمن ظلم كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] والله تعالى يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤] وعجبت لمن

(١) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٣١٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٨، والقرطبي في تفسيره ١/ ١٧٠، ٣٧١، ٩/ ١٠٩، والطبري في تفسيره ١/ ٢٠٥، وابن كثير في تفسيره ١٥/ ١٢٤، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٨٥.

كويد في أمر كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيَ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] والله سبحانه يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن أنعم الله عليه نعمة خاف زوالها، كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩] والله سبحانه يقول: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩].

وروى أبو داود عن أبي بردة بن عبد الله أن أباه حدثه أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم»(١).

قرئ على القاضي أبي الوليد ـ وأنا أسمع ـ قال: روى محمد بن إبراهيم بن سعد، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون التي دعا بها وهو في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يدعو بها رجل مسلم في شيء إلا استجيب له»(٢).

قال عبد الله بن عبد العزيز العمري الزاهد: قال لي موسى بن عيسى: نمي إلى أمير المؤمنين ـ يعني الرشيد ـ أنك تشتمه وتدعو عليه، فبأي شيء استجزت ذلك؟ فقلت: أما شتمه فهو ـ والله ـ إذن أكرم عليَّ من نفسي، وأما الدعاء عليه فما قلت: اللهم إنه أصبح عبئاً ثقيلاً على أكتافنا، لا تطيقه أبداننا، وقذًى في عيوننا لا نطبق عليه جفوننا، وشجى في أفواهنا، لا تطيقه حلوقنا، فاكفنا مؤونته، وفرِّق بيننا وبينه، ولكن قلت: اللهم إن كان يسمى الرشيد فأرشده، وإن كان على غير ذلك فراجع به.

اللهم إن له في الإسلام على كل مسلم حقاً، وله بنبيك قرابة ورحم فقربه من كل خير، وباعده من كل شر، وأسعدنا به، وأصلحه لنفسه.

فقال: يغفر الله لك يا أبا عبد الرحمن، كذلك بلغنا.

قال القاضي: وروي أن أبا جعفر المنصور لما حج قال للربيع: عليَّ

---

(١) أخرجه أبو داود حديث ١٥٣٧، وأحمد في المسند ٤/ ٤١٥، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٣٢٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٤١.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتله، فمطله به، ثم ألح عليه فيه فحضر، فلما كشف الستر بينه وبينه، ومثل بين يديه همس همسة، ثم تقرب وسلم، فقال: لا سلم الله عليك يا عدو الله، تعمل على الغوائل في ملكي، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال له جعفر: إن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت على إرث منهم، وأنت أحق من تأسى بهم.

فنكس أبو جعفر رأسه، ثم رفع رأسه إليه، وقال: أبا عبد الله ادن، فأنت القريب القرابة، وذو الرحم الكاشحة السليم الناجية، القليل الغائلة، ثم صافحه بيمينه، وعانقه بيساره، وأجلسه معه في فراشه، وأقبل عليه بوجهه يسائله ويحادثه.

ثم قال: عجلوا لأبي عبد الله كسوته وجائزته.

قال الربيع: فلما خرج وحططت الستر أمسكت بثوبه وقلت: منذ ثلاث أدفع عنك، وأداري عليك، ورأيتك إذ دخلت همست همسة، ثم رأيت الأمر انجلى عنك، فأحب أن تعرفني بها، فقال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بركنك الذي لا يرام، لا أهلك وأنت رجائي، كم من نعمة أنعمت بها عليَّ قل عندها شكري فلم تحرمني، وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري فلم تخذلني، اللهم إني أعوذ بك من شره، وأدرأ بك في نحره.

ولما حمل ذو النون المصري إلى العراق وأدخل على الواثق أعد السيف والنطع، فلما عاينه أدناه وقربه وقال مرحباً بك، ودعا له بغالية فطيبه بيده، وقال له: أتعبناك يا أبا الفيض؟ انصرف راشداً.

فقال: الوزير: فعلت بهذا المصري ما لم تفعل بأحد، فقال: ويحك إن لم أفعل ما رأيت لظننت أني أوخذ.

فقال الوزير: قد رأيته ـ والله ـ يحرك شفتيه، أفتأذن لي عن سؤاله في ذلك؟ فقال: نعم.

فسأله، فقال: إني لما رأيته قلت: يا من ليس في السماء قطرات، ولا في البحر قطرات، ولا في الرياح لوحات، ولا في سكناتها حركات، ولا في حركاتها

سكنات، إلا وهي عليه دلالات، وبربوبيته معترفات، وفي قدرته متحيرات، فبالقدرة التي تحيرت بها قلوب الخلائق إلا حيرت بها قلبه عني، فكان ما رأيت.

ومما استحسنته:

لما سخط [المأمون] على الفضل بن الربيع دعا فقال: يا من ليس فوقه رب يدعى، ويا من ليس فوقه إله يخشى، ويا من ليس فوقه ملك يبقى، ويا من ليس له حاجب يرشى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ويا من ليس له بواب ينادي، ويا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا كرماً وجوداً، وعلى كثرة الذنوب إلا عفوا وصفحاً، صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وفرِّج عني ما أمسي فيه وأصبح من هم وغم وخوف، فإنك على ما تشاء قدير، يا ذا الجلال والإكرام، يا فعال لما يريد.

قال: فرحمه الأمير وعفا عنه، ثم رأى النبي - ﷺ - فقال يا فضل: لو كان هذا الدعاء قبل التوراة والإنجيل والفرقان لذكره الله فيها.

باب: النهي أن يدعو الإنسان على أهله وماله

روى أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لئلا توافقوا ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم»(١).

باب: الدعاء عند الكرب

روى البخاري عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم»(٢).

(١) أخرجه مسلم في الزهد حديث ٧٤، وأبو داود وحديث ١٥٣٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٢٧، والتوحيد باب ٢٢، ٢٣، ومسلم في الدعوات حديث ٨٣، والترمذي في الدعاء باب ٣٩، وابن ماجه في الدعاء باب ١٧، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٨، ٢٥٤، ٣٣٩، ٣٥٦.

وفي سند آخر كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم»(١).

وروى أبو داود عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمَك كلمات تقولينهن عند الكرب، أو في الكرب: الله ربي لا أشرك به شيئاً»(٢).

وروى أبو بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوات المكروب: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت»(٣).

وقال موسى بن عقبة وهو أستاذ مالك بن أنس، وأصغر سناً، وهو أوثق من روى المغازي: بلغنا عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «من قال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، القلب في قبضتك، ناصيتي في يدك، عدلٌ في حكمك، ماض في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو ذكرته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ضياء في صدري، وربيع قلبي، وجلاء في حزني: وذهاب غمي، اللهم إني أستودعك نفسي وديني، وأمانتي ومالي، وخواتيم عملي، وجميع ما أنعمت به عليّ في الدنيا والآخرة، فإنه لا تضيع ودائعك، وإنه لن يجيرني من الله أحد، ولن أجد من دونه ملتحداً»(٤).

وقل ابن عمر: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يدعو بهن مهتم إلا فرج الله همه، وأطال الله سروره»(٥).

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٠٣.
(٢) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ٤، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٦١٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ١٦٢، وابن حجر في فتح الباري ١١/ ١٤٨.
(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٠٢، وأحمد في المسند ٥/ ٤٢.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٣٩١، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩، والديلمي في مسنده ١/ ٤٦٦، والهيثمي في موارد الظمآن ٥٨٩، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦.
(٥) انظر الحاشية السابقة.

وروي أن يعقوب ـ عليه السلام ـ دعا فقال: يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ويا ذا النعيم الذي لا يُحصَى عدداً، اجعَل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، فما طلع الفجر حتى أتي بقميص يوسف.

وقال وهب بن منبه: لما وضع إبراهيم في كفة المنجنيق وقذفوه في سواء الجحيم قال: حسبي الله ونعم الوكيل، اللهم إنك تعلم إيماني بك، وعداوة قومي فيك، فانصرني عليهم ونجني من النار، فأوحى الله، سبحانه، إلى النار أن ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وروي عن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه كان يقول: اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطر، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت، فارحمني رحمة تغنيني عن رحمة من سواك.

وروي أن جبريل، عليه السلام، دخل على يوسف، عليه السلام، في السجن فقال له: قل: اللهم يا شاهد كل غائب، ويا قريباً غير بعيد، ويا غالباً غير مغلوب، اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث لا أحتسب، واغفر لي ذنوبي، وثبت رجاءك في قلبي، واقطعني عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك.

باب: الدعاء الذي لا يضر معه شيء

روى النسائي عن عثمان، ورواه أبو داود واللفظ للنسائي قال: قال النبي ﷺ: «من قال باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، حين يمسي لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يصبح، وإن قالها حين يصبح لم تفجأه فاجئة بلاء حتى يمسي»[1].

وروى النسائي، وأبو داود عن أبان بن عثمان، عن أبيه يقول: سمعت

(١) أخرجه أبو داود حديث ٥٠٨٨، وأحمد في المسند ١/ ٦٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٣٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٧١٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٢، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٢٣.

رسول الله ﷺ يقول: «من قال: باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي».

قال: فأصاب أبان بن عثمان الفالج، فجعل الرجل الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: ما لك تنظر إليَّ؟ والله ما كذبت على عثمان، ولا كذب عثمان على النبي ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني غضبت فنسيت أن أقولها[١].

باب: الدعاء عند الفزع

روى أبو داود عن عمرو بن شعيب، عن أبيه [عن جده] أن النبي ﷺ كان يعلمهم عند الفزع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[٢].

وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه، ومن لم يعقل كتبهن وعلقهن عليه.

وروى عبد الله بن عمرو، عن النبي - ﷺ - أنه كان يأمر بكلمات من الفزع[٣].

وشكا إليه خالد بن الوليد أنه يفزع في منامه فقال له: إذا أخذت مضجعك لنومك فقل: باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وعذابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون»[٤].

وكان عبد الله من أدرك من ولده علمه إياها، وأمره أن يقولها إذا أراد أن

---

(١) انظر الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه أبو داود في الطب باب ١، والترمذي حديث ٣٥٢٩، وأحمد في المسند ٦/٦، والحاكم في المستدرك ١/٥٤٨، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/٤٥٦، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ٤١، ٥/ ١٤، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٢٢٨.

(٣) أخرجه أبو داود في الطب باب ١٩.

(٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ٢٢٨.

ينام، ومن لم يدرك من ولده كتبها، وعلقها عليه.

باب: الدعاء المجير من ذوات السموم

روى مسلم في صحيحه، وأبو داود عن أبي هريرة أن رجلاً اشتكى إلى النبي ﷺ ما لقي من العقرب فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، فقال النبي ﷺ: «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، لم يضرك»(١).

ورواه أبو داود فقال فيه: لم تلدغ، أو لم تضرك(٢).

وحدثني بعض أصحابنا بالعراق أن رجلاً من طلبة العلم شكا إلى الشيخ أبي إسحاق فقيه العراق في المدرسة بعد أن غاب عنه أياماً فقال له: ما حبسك؟ قال: لدغتني عقرب، فقال الشيخ: لعلك أكلت كثيراً، فشربت كثيراً، فنمت، فلم تستيقظ، فلدغتك عقرب. فقال الرجل: وكان ذلك.

باب: الدعاء عند لبس الجديد

وروى النسائي وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال:

كان النبي ﷺ إذا استجد ثوباً سماه باسمه ـ قميصاً أو عمامة.

ثم يقول: «اللهم لك الحمد، أنت كسوتنا هذا الثوب، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»، فقال أبو سعيد الخدري: وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً قيل له: تبلى، ويخلف الله لك(٣).

وروى خالد بن سعيد بن العاص أن رسول لله ـ ﷺ ـ أتي بكسوة فيها

(١) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٥٥.
(٢) أخرجه أبو داود في الطب باب ١٩.
(٣) أخرجه أبو داود حديث ٤٠٢، وأحمد في المسند ٣/ ٥٠، وابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢٦٧، ٣٠٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٢٠١، ٢٦٥، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٢٦٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠١، والنسائي في عمل اليوم والليلة ١١٠.

خمصة صغيرة فقال: «من ترون أحق بهذا»؟ فسكت القوم، فقال: «ائتوني بأم خالد» فأتوا بها، فألبسها إياها، ثم قال: «أبلي وأخلفي» مرتين، وجعل ينظر إلى علم في الخميصة أحمر أو أصفر، ويقول: «سناه سناه يا أم خالد» وسناه في كلام الحبش: الحسن[١].

وقال أبو أمامة: أُتي عمر بن الخطاب بقميص له كرابيس فألقاه في عنقه، فما جاوز تراقيه حتى قال: الحمد لله الذي رزقني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي.

باب: الدعاء عند الأكل والشرب

من صحيح مسلم أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[٢].

فإذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم، ولا عشاء، فإذا دخل أحدكم ولم يذكر الله ـ عز وجل ـ عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء.

وروى أبو داود عن معاذ بن أنس عن أبيه أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من أكل طعاماً ثم قال: الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن لبس ثوباً فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٣].

وروى مالك في موطئه، والبخاري وأبو داود أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل ولا يسمي، فلما كان في آخر لقمة رفعها إلى فمه قال: باسم الله أوله وآخره.

(١) أخرجه أبو داود في اللباس باب ٢، وأحمد في المسند ٦/ ٣٦٥، والحميدي في مسنده ٣٣٧.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٨٩، والترمذي حديث ١٨١٦، وأحمد في المسند ٣/ ١٠٠، ١١٧، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٤١٠٠، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦٨.

(٣) أخرجه أبو داود في اللباس باب ١، والترمذي حديث ٣٤٥٨، وابن ماجه حديث ٣٢٨٥، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٩٣، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٠١.

قال النبي ﷺ: «فما زال الشيطان يأكل معه، فلما سمى قال الشيطان ما آكل معه» وفي بعض روايته قال: «استقاء ما في بطنه»(١).

وروى أبو هريرة: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء رسول الله ﷺ فانطلقا معه، فلما طعم وغسل يده قال: «الحمد لله الذي يُطِعم ولا يُطَعم، ومنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير موَدَّع، ولا مكفي، ولا مكفور، ولا مستغنًى عنه، الحمد لله أطعمنا وسقانا من الشراب، وكسانا من العري، وهدانا من الضلال، وبصرنا من العمى، وفَضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً».

وفي بعض روايته «غير مكتف؛ أي مكتف بنفسه عن كفاية ربه، ولا بكفور النعمة»(٢).

وروى النسائي عن أنس قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا أفطر عند أهل بيت فأراد أن يقوم قال لهم: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وتنزلت عليكم الملائكة - وروي - السكينة»(٣).

وروت الجماعة على المعنى عن حذيفة قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ فدعِينا إلى طعام لم نضع أيدينا حتى يضع النبي ﷺ يده، وكففنا أيدينا، فجاء أعرابي كأنه يدفع أو يطرد، فأهوى بيده إلى القصعة، فأخذ النبي ﷺ بيده فأجلسه، ثم جاءت جارية فأهوت بيدها إلى القصعة، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم قال: «إن الشيطان لما أعياه أن يذكر اسم الله على طعامنا جاء بهذا الأعرابي يستحل به طعامنا، فلما حبسناه جاء بهذه الجارية يستحل بها طعامنا».

والله إن يده في يدي مع أيديهما، ثم ذكر اسم الله تعالى ثم أكل(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود في الأطعمة باب ١٥، وأحمد في المسند ٤/٣٣٦، والحاكم في المستدرك ٤/١٠٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٤٢٠٣، والطبراني في المعجم الكبير ١/٢٦٨.

(٢) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن ١٣٥٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/٢٢٧، ٧/١٢٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٧٩، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٧، والمتقي الهندي في كنز العمال ٤٠٨٥٠، والحاكم في المستدرك ١/٥٤٦.

(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٠٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/٣٩٨، والحاكم في المستدرك ٤/١٠٨.

وروت عائشة أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله، فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره»(١).

باب: آداب الدعاء عند السفر

روى البخاري وأبو داود عن عبد الله بن سرجس أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفراً قال: «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، ودعوة المظلوم، وسوء المنظر في النفس والأهل والمال»(٢). «اللهم ازو لنا الأرض، وهوّن علينا السفر»(٣).

وروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول عند سفره: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم أصحبنا بنصحك، وأقلبنا بذمة، اللهم ازو لنا الأرض، ويسرنا فيها، اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، وأن تستعملنا فيما تحب وترضى، اللهم أعنا على سفرنا هذا، واطو لنا بعده»(٤).

ومن غيره، يروى عن النبي ﷺ أنه كان إذا أراد السفر توضأ ثم صلى ركعتين، ويقول وهو في مجلسه مستقبل القبلة: «الحمد لله الذي خلقني ولم أك شيئاً، رب أعني على أهوال الدنيا، وضوائق الدهر، وكربات الآخرة، ومصيبات الليالي والأيام، رب في سفري فاحفظني، وفي أهلي فاخلفني، وفيما رزقتني فبارك لي يا رب، في سفري فذللني، وفي أعين الناس فعظمني، وعلى صالح

---

(١) أخرجه أبو داود حديث ٣٧٦٧، وأحمد في المسند ٦/ ٢٤٦، ٢٦٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٢٧٦.

(٢) أخرجه مسلم في الحج حديث ٤٢٥ ـ ٤٢٧، وأبو داود في الجهاد باب ٧٢، والنسائي في الاستعاذة باب ٤١ ـ ٤٣، وابن ماجه حديث ٣٨٨٨، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٣، ٥/ ٨٢، ٨٣، والدارمي في الاستئذان باب ٤٢، ومالك في الاستئذان حديث ٣٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ١٢٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٢٦، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٤٩٢.

(٤) أخرجه أبو داود حديث ٢٥٩٨، وأحمد في المسند ١/ ٢٥٦، ٢/ ١٤٤، ١٥٠، ٤٠١، ٤٣٣، ٥/ ٨٣، والحاكم في المستدرك ٢/ ٩٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٥٢، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٩.

الأخلاق فقوني، وعن سيئها فجنبني، إليك أشكو غربتي، وقلة زادي، وبعد سفري، وهواني على الناس، فلا تحرمني يا رب المستضعفين، إلى من تكلني؟ إلى عدو تملكه أمري، أو إلى بعيد يتجهمني، فإن لم تغضب عليَّ لم أبال، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرضون، وكشفت به الظلمة، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين، إن ثبت علي غضبك، أو نزل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، وإذا رضيت فلك الحمد كما تشاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وروى أبو داود عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك، وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ به من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد»(١).

باب: الدعاء عند الوداع

روى أبو داود عن قزعة قال: قال لي ابن عمر: هلم أودعك بما ودعني به رسول الله ﷺ: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»(٢).

وروى عبد الله الخطمي قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يودع الجيش قال: «أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم»(٣).

ومن غيره روي عن إسماعيل بن رافع قال: كان النبي ﷺ إذا ودع رجلاً قال: «زودك الله التقوى وغفر ذنبك، ولقاك الخير حيث توجهت».

وروي عن أبي هريرة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يريد سفراً قال: يا

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٨٢، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٢، ٣/ ١٢٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٠٠، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٣٠، ٣٣١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٣٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٤٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٣٥، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٢٥، والبخاري في التاريخ الكبير ٨/ ٢٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب ٨٠، والحاكم في المستدرك ٢/ ٩٧، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٣٦، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٣٢٥.

رسول الله أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله، واذكر الله على كل شرف» فلما ولى قال: «زوى الله لك الأرض، وهوّن عليك السفر»[(١)].

وأنشد بعضهم:

وما من ذوي عيشين عاشا بغبطة فسرا بها إلا سيفترقان
إذا افترق الأحباب بالموت مرة فيا ليت شعري أين يجتمعان؟

باب: الدعاء عند ركوب الدابة والسفينة

روى النسائي وأبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبّر ثلاثاً ثم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٣، ١٤].

اللهم إنّا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن سفرنا هذا، اللهم اطو لنا البعد، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال».

وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون»[(٢)] قال علي بن ربيعة: شهدت علياً وأتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب، قال: باسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٦٠، الحاكم في المستدرك ٢/ ٩٨، والهيثمي في موارد الظمآن ٥٩١، والبغوي في شرح السنة ٥/ ١٤٣.

(٢) روي الحديث بطرق وأسانيد متعددة، أخرجه البخاري في العمرة باب ١٢، والجهاد باب ١٣٣، ١٩٧، والمغازي باب ٢٩، والدعوات باب ٥٣، ومسلم في الحج حديث ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، وأبو داود في الجهاد باب ٧٢، ١٥٨، والترمذي في الحج باب ١٠٢، والدعوات باب ٤٢، ٤٦، والدارمي في الاستئذان باب ٥٠، ومالك في الحج حديث ٢٤٣، وأحمد في المسند ١/ ٢٥٦، ٢/ ٥، ١٠، ١٥، ٢١، ٣٨، ٦٣، ١٠٥، ١٤٤، ١٥٠، ٣/ ١٨٧، ١٨٩، ٤/ ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٨، ٣٠٠.

نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت، ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري»[١].

وزاد غير أبي داود في هذا الحديث عند قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾: اللهم سلم فإنه لا يصاب من سفره ذلك.

وقال ابن عباس: من قال عند ركوب السفينة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] الآية، أمن من الغرق، فإن غرق فعليَّ دينه.

وقال مجاهد: إذا ركب الرجل الدابة فلم يسم، ركب الشيطان، ثم صك قفاه، وإن كان يحسن يتغنى قال: تغنه، وإن كان لا يحسن يتغنى قال تمنه.

وأنشد بعض المودعين لإلفه وقد قربت السفينة للنوى:

ما كنت أعلم ما في البين من حزن   حتى تنادوا ألا قد حين بالسفن
فقلت والبين قد جدت عزائمه   يا ليت معرفتي إياك لم تكن

باب: الدعاء عند الاستخارة

روى مالك، والبخاري، ومسلم، وغيرهم عن جابر، وابن مسعود: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن.

قال: «إذ هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي، وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري ـ وآجله، فقدره لي ويسره لي، وإن لم يكن فيه خير في ديني ودنياي، وعاقبة أمري في عاجله وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به،

(١) أخرجه أبو داود حديث ٢٦٠٢، والترمذي حديث ٣٤٤٧، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٣٤.

ويسمي حاجته»[١].

وكان سعد يقول: كان النبي ﷺ يقول: «من سعادة ابن آدم استخارته الله سبحانه ـ ومن سعادته رضاه بما يقضي الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله»[٢].

باب: الدعاء عند الحرب

روى البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: «اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»[٣].

باب: الدعاء عند المرض

روى البخاري ومسلم، وغيرهما أن النبي ﷺ: عاد رجلاً من المسلمين قد خفت، فصار مثل الفرخ، فقال له النبي ـ ﷺ ـ «هل كنت تدعو الله بشيء، أو تسأله إياه؟ قال: نعم: كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال النبي ﷺ: «سبحان الله؟ لا تطيقه، أو لا تستطيعه، لا طاقة لك بعذاب الله، أفلا قلت: «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» قال: فدعا الله فشفي»[٤].

وروي أن أبا نخلة ـ رجلاً من الأنصار ـ رمي بسهم فقيل ادع الله ـ سبحانه ـ فقال: اللهم انقص من الوجع ولا تنقص من الأجر.

وقال علي بن أبي طالب في مرضه: اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك،

(١) أخرجه البخاري في التهجد باب ٢٥، والدعوات باب ٤٩، والتوحيد باب ١٠، والترمذي في الوتر باب ١٨، وابن ماجه في الإقامة باب ١٨٨، وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٤.

(٢) أخرجه الترمذي في القدر باب ١٥، وأحمد في المسند ١/ ١٦٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث ٢٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/٣٥٣، ٣٥٥، ٣٨٢، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٤، ٦/ ٣٩٦، والقرطبي في تفسيره ٢/ ٤٣٥، والبغوي في شرح السنة ٣/ ٣٩، وابن حجر في فتح الباري ٧/ ٤٠٦، ١١/ ١٣٩، ١٩٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/ ٢٥٦.

(٤) تقدم الحديث مع تخريجه.

وصبراً على بليتك، وخروجاً من الدنيا إلى رحمتك.

وروى البخاري، وأبو داود عن سعد قال: اشتكيت بمكة فجاءني النبي ﷺ يعودني، ووضع يده على جبهتي، ثم مسح صدري وبطني، ثم قال: «اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته»[١].

وروى أبو الدرداء، عن ابن عباس، عن النبي - ﷺ - قال: «إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشف عبدك، ينكأ لك عدواً، أو يمشي لك إلى جنازة»[٢].

قال وروى عثمان بن أبي العاص قال: أتيت النبي - ﷺ - وبي وجع كاد أن يهلكني، فقال النبي ﷺ: «امسحه بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: ما زلت أجعلها فيها»[٣].

فأتيت أبا أيوب الأنصاري فحدثني أنه سمع النبي - ﷺ - يقول: «عرج بي إلى السماء، فلقيت إبراهيم، عليه السلام، قال لي: مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة، فإن ترتبها طيبة، وأرضها واسعة، فقلت: ما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

وروي عن سعيد بن جبير أن جبيراً ومسروقاً قالا: إنها الصلوات الخمس فهن [يضاعفن] الحسنات، ويذهبن السيئات.

وعن جماعة من التابعين أنها جميع الأعمال الصالحة؛ وما أريد به وجه الله - سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري في المرضى باب ١٣، ٢٠، ومسلم في الوصايا حديث ٨، وأحمد في المسند ١/١٦٨، ١٧١.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ٣١٠٧، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٩، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٥٥٦.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ٣٨٩١، وأحمد في المسند ٤/ ٢١، ومالك في العين حديث ٩، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/١٠٨.

(٤) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤١٨.

ويشبه أنه لم تبلغهم هذه الأخبار التي قدمناها.

باب: إذا رأى شيئاً يكرهه في النوم

عن أبي قتادة قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها»(١).

باب: الدعاء عند الرياح والأمطار، والرعد والبرق

روى أبو داود عن عائشة قالت: «ما رأيت النبي - ﷺ - مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية، فقال: يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾(٢) [الأحقاف: ٢٤].

وروى مسلم في صحيحه، وأبو داود عن أنس قال: «كان النبي ﷺ إذا رأى المطر كشف ثوبه، وقال أبو داود: يحسر ثوبه عنه، ثم اتفقا حتى أصابه، فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه»(٣).

وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل، وإن كان في صلاة، ثم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شرها» فإن

(١) أخرجه البخاري في التعبير باب ٣، ٤، ١٠، ١٤، وبدء الخلق باب ١١، والطب باب ٣٩، ومسلم في الرؤيا حديث ٢٠١، وأبو داود في الأدب باب ٨٨، والترمذي في الرؤيا باب ٥، وابن ماجه في الرؤيا باب ٤، والدارمي في الرؤيا باب ٥، ومالك في الرؤيا حديث ٤، وأحمد في المسند ٥/ ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة ٤٦، باب ٢، والأدب باب ٦٨، ومسلم في الاستسقاء حديث ١٦، وأبو داود في الأدب باب ١٠٤، وأحمد في المسند ٦/ ٦٦.

(٣) أخرجه مسلم في الاستسقاء حديث ١٣، وأبو داود حديث ٥١٠٠، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٣.

أمطرنا قال: «اللهم صيباً هنيئاً»[(١)].

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها»[(٢)].

ومن مصنف عبد الرزاق أن النبي ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فلا يشر بإصبعه، وليصف أو ليبعث»[(٣)].

وروى البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ إذا رأى ناشئاً في السماء من سحاب أو ريح استقبله من حيث كان، وإن كان في الصلاة فيقول: نعوذ بالله من شره، فإذا أمطرت قال: اللهم صيباً نافعاً»[(٤)].

وروى عن ابن المسيب أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى السحاب قال: «اللهم سيب رحمة، ولا سيب عذاب»[(٥)].

وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد:١٣]، ثم قال إذاً، هذا الوعيد لأهلِ الأرض، وقد رأيت نحوه عن النبي ﷺ والله أعلم[(٦)].

باب: خاتم الأعمال

روى النسائي عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: ما جلس رسول الله ﷺ

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١١٣، وأحمد في المسند ٦/ ١١٩، ١٢٩، ١٣٨، ١٦٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٦١.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب باب ١٠٤، والترمذي في الدعوات باب ٤٨، وابن ماجه في الأدب باب ٢٩، وأحمد في المسند ٥/ ١٢٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٩١٧.

(٤) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٢٣، وأبو داود في الأدب باب ١٠٤، والنسائي في الاستسقاء باب ١٥، وابن ماجه في الدعاء باب ٢١، وأحمد في المسند ٦/ ٤١، ٩٠، ١١٩، ١٢٩، ١٣٨، ١٦٦، ١٩٠، ٢٢٣.

(٥) أخرجه ابن ماجه في الدعاء باب٢١، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٢٦٧.

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٣١٥.

مجلساً إلا يتلو قرآناً، ولا صلى صلاة إلا ختم ذلك بكلمات، قالت: فقلت: يا رسول الله، إنك ما تجلس مجلساً إلا تتلو قرآناً، ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات، قال: نعم، من قال خيراً ختم له طابع على ذلك، ومن قال شراً كن له كفارات «سبحانك ربنا وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[(١)].

قال: وروى أبو هريرة أنّ النبي ـ ﷺ ـ قال: «من جلس في مجلس كثر فيه لغطه ثم قال قبل أن يقوم: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، غفر له ما كان في مجلسه ذلك»[(٢)].

وقالت عائشة: ما كان النبي ـ ﷺ ـ يقوم من مجلس إلا قال: لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقلنا: يا رسول الله، ما أكثر ما تقول هذه الكلمات إذا قمت، قال: إنه لا يقولهن أحد حين يقوم من مجلسه إلا غفر له، ما كان في ذلك المجلس[(٣)].

وروى رافع بن خديج كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءاً، وظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

فقلنا: يا رسول الله، إن هذه الكلمات أحدثتهن؟ قال: جاءني جبريل وقال: يا محمد هن كفارات المجلس[(٤)].

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٣٤، وابن حبان في كشف الأستار ٥٨٨.
(٢) أخرجه الترمذي حديث ٣٤٣٣، وأحمد في المسند ٢/ ٩٤٩، والبغوي في شرح السنة ٦/ ٢٠٢، ٢٥٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٤٨.
(٣) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٣٤، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/ ٢٩٠.
(٤) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٩، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٢٤، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤١.

باب: الاستعانة بدعاء الصالحين وإن كان السائل أفضل من المسئول

روى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: «لا تنسني يا أخي من دعائك»[١] وروى أنه قال: «أشركنا يا أخي في دعائك»[٢].

باب: الدعاء عند الاستسقاء

قرئ على القاضي أبي الوليد، وأنا أسمع، في كتاب «سير الصالحين وسنن العابدين» جميع ما في هذا الباب إلا ما سمعت فيه من سائر الروايات من صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «ليس السَّنَةُ بأن لا تمطروا، ولكن السَّنَة أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئاً»[٣].

وروى البخاري عن أنس قال: قام رجل فقال: يا رسول الله؟ هلكت المواشي، وتقطعت السبل، فادع الله أن يغيثنا، فرفع يديه وقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا اللهم اسقنا.

قال أنس: فلا والله لا نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئاً، فطلعت سحابة من وراء سلع مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت إلى الجمعة.

فقال رجل: يا رسول الله؟ هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها، فرفع رسول الله ﷺ بيده وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل»[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث ١٤٩٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٥١، وابن السني في عمل اليوم والليلة ٣٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٢٤٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٦، ٩، ١٠، ١٢، ومسلم في الاستسقاء حديث ٨، والنسائي في الاستسقاء باب ١، ١٠، ومالك في الاستسقاء حديث ٣، وابن ماجه في الإقامة باب ١٥٤، وأحمد في المسند ٣/ ١٠٤، ١٨٧، ١٩٤، ٢٦١، ٢٧١، ٤/ ٢٣٦.

وروى أبو داود عن جابر قال: أتت النبي ﷺ بواكٍ فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً، نافعاً غير ضار، عاجلاً غير آجل، قال: فأطبقت عليهم السماء»[(١)].

قال أنس: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لقد أتينا وما لنا بعير يئط، ولا صبي يصطبح ـ يعني ليس لنا لبن يشربه الطفل بالغداة، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء تدمى لثاتها   وقد شغلت أم الصبي عن الطفلِ
وألقى بكفيه الكسير استكانة   من الجوع ضعفاً لا يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا   سوى الحنظل العامي والعلهز الفسلِ
وليس لنا إلا إليك فرارنا   وأين فرار الناس إلا إلى الرسلِ

فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم رفع بيده إلى السماء فقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، سريعاً مريعاً، غدقاً طبقاً، عاجلاً غير رائث، نافعاً غير ضار تملأ به الضرع، وينبت به الزرع وتحيي به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون».

فوالله ما رد بيده إلى نحره حتى ألقت السماء بأرزاقها، وجاء أهل البطانة يصيحون: يا رسول الله؟ الغرق! فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة، حتى أحدق بها كالإكليل، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله در أبي طالب، لو كان حياً قرت عيناه، من ينشدنا قوله؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: كأنك أردت رسول الله قوله:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه   ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
تلوذ به الهُلّاك من آل هاشم   فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً   ولما نقاتل دونه ونناضلِ
ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائلِ

(١) أخرجه أبو داود حديث ١١٦٩، وابن ماجه حديث ١٢٦٩، ١٢٧٠، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣٦، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٢٧.

فقال ﷺ: أجل، فقام أعرابي من كنانة فقال:

لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة إليه وأشخص فيه البصر
فلم يك إلا كلف الرداء وأسرع حتى رأينا الدرر
دقاق العزالي وحم البعاق أغاث به الله عينا مضر
وكان كما قاله عمه فهذا العيان كذاك الخبر
فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى الغِيَر

فقال النبي ﷺ: إنك شاعر محسن[١].

والعلهز: هو الدم بالوبر.

ويقال: هو القردان يدق مع الدم يأكلونه في المجاعة.

وقوله: دقاق العزالي شبه اندفاق المطر بعزلاء المزادة.

وقوله: وحم النعاق: السيل العظيم.

وروى البخاري أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما[٢] فلما فرغ من دعائه قال العباس: «اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، وأنت الراعي لا تهمل الضالة، ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد تضرع الصغير، وفرق الكبير، وارتفعت الأصوات بالشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى، اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

قال: فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال.

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٣، وفضائل أصحاب النبي ﷺ باب ١١، والبغوي في شرح السنة ٤/ ١٠٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥٢، ودلائل النبوة ٦/ ١٤٧.

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

سأل الخليفة إذ تتابع جدبه ... فسقى الغمام بغرة العباسي
عم النبي، وصنو والده الذي ... ورث الثناء بذاك بين الناس
أحيا المليك به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد اليأس

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر قال: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأراملِ[(١)]

وروى مالك عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده، قال: كان النبي ﷺ إذا استسقى قال: «اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت»[(٢)].

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: شكا الناس إلى النبي ﷺ قحط المطر، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى، ووعد الناس يوماً يخرجون فيه، قالت عائشة رضي الله عنها فخرج النبي ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر، فكبر وحمد الله سبحانه وتعالى، وأثنى عليه، فقال: «إنكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم» ثم قال: «الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين، ثم رفع يديه، ثم بالغ في الرفع حتى بدا بياض إبطيه، ثم حوَّل إلى الناس ظهره، وقلب ـ أو حول ـ رداءه وهو رافع يديه، ثم أقبل على الناس فنزل، فصلى ركعتين فقرأ فيهما ما شاء الله سبحانه فرعدت وبرقت، ثم أمطرت بإذن الله سبحانه فلم يأت مسجده حتى سالت السيول، فلما رأى سرعتهم إلى الكِنِّ ضحك حتى بدت نواجذه، قال: أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأني عبد الله ورسوله»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء باب ٣.
(٢) أخرجه أبو داود في الاستقساء باب ٢، ومالك في الاستسقاء حديث ٢.
(٣) أخرجه أبو داود حديث ١١٧٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٤٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٣٢٨، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٥٠٨.

قال أبو داود: هذا حديث غريب إسناده جيد، وهو حجة لأهل المدينة في قراءتهم «ملك يوم الدين».

وروى الشعبي قال: خرج عمر بن الخطاب يستسقي فلم يزد على الاستغفار، قالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت؟ قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

وقوله بمجاديح السماء: واحدها مجدوح، وهو نجم يزعم العرب أنها تمطر به، *ويقال:* *هو الزبانيان*.

وقال محمد بن المنكدر: قحط أهل المدينة، فخرجوا يستسقون، فلم يسقوا، وصليت العشاء الآخرة في مسجد النبي ﷺ فجاء أسود تعلوه صفرة مؤتزر بكساء، وعلى رقبته كساء أصغر منه، فصلى ركعتين، ثم جلس، وقال: أي رب؟ خرج أهل حرمك يستسقون فلم تسقهم، فأنا أقسم عليك إلا أسقيتهم؟.

فقلت: هذا مجنون، فما وضع يديه حتى سمعت الرعد ثم جاءت السماء بشيء من المطر، فلما سمع المطر حمد الله محامد لم أسمع مثلها قط، ثم قال: ومن أنا، ومن أنا حتى استجبت لي، وعدت بحكمك، وعدت بطولك، ثم قام فتوشح، وألقى الكساء الآخر الذي كان على ظهره في رجليه، وقام يصلي حتى إذا خشى الصبح سجد، ثم صلى ركعتين، فأقيمت الصلاة فدخل مع الناس.

باب: الدعاء عند التزويج

روى مالك والبخاري والجماعة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا تزوج أحدكم المرأة، أو اشترى الخادم فليأخذ بناصيتها، وليدعُ بالبركة، وإذا اشترى البعير فليأخذ بذروة سنامه وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»[1].

(١) أخرجه أبو داود في النكاح باب ٤٥، وابن ماجه في التجارات باب ٤٧، ومالك في النكاح حديث ٥٢.

قال: ولما تزوج جابر بن عبد الله قال له النبي ﷺ: «بارك الله لك»[(١)].

وروى أبو داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا رفأ الإنسان قال: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[(٢)].

ومن صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «ليس في الجنة أعزب»[(٣)].

وروى سفيان في جماعة قال طاووس: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج.

باب: الدعاء عند سماع وفاة المسلمين

قرئ على القاضي أبي الوليد، وأنا أسمع، في كتابه المعروف بسنن الصالحين وسير العابدين، قال: وروى ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن للموت فزعاً، فإذا أتى أحدكم وفاة أخيه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلف على عقبه في الآخرين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»[(٤)].

باب: الدعاء عند إضلال الشيء

من كتاب «سنن الصالحين»: «اللهم راد الضالة، وهادي الضلالة، تهدي من الضلالة، رد عليَّ ضالتي بقدرتك وسلطانك، فإنها بيدك ومن عطائك».

باب: الدعاء عند دخول السوق

قرئ على القاضي وأنا أسمع قال: روي عن بريدة قال: كان النبي ﷺ إذا دخل السوق قال: باسم الله، اللهم إني أسألك هذه السوق وخير ما فيها، اللهم

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب ٧، ٦٨، ومسلم في النكاح حديث ٧٩، والترمذي في النكاح باب ١١، وابن ماجه في النكاح باب ٢٤.

(٢) أخرجه أبو داود في النكاح باب ٣٦، والترمذي في النكاح باب ٧، وابن ماجه في النكاح باب ٢٣، والدارمي في النكاح باب ٦، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨١.

(٣) أخرجه بنحوه مسلم في الجنة حديث ١٤، والدارمي في الرقاق باب ١٠٨، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٠، ٢٤٧، ٥٠٧.

(٤) أخرجه مسلم في الجنائز حديث ٧٨، وأبو داود في الجنائز باب ٤٣، وأحمد في المسند ٣/ ٣١٩، ٣٣٥، ٣٥٤.

إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة»[١].

وروى أبو سعيد الخدري عن أبي العلاء قال: قرأت في كتاب فإذا فيه: ما من عبد مسلم يأتي سوقاً من الأسواق فيذكر الله فيها إلا كتب الله له فيها من الحسنات عدد أهل السوق، كل فصيح منهم أو أعجمي ـ يعني الدواب ـ وذكر ذلك لأبي نضرة فقال: لئن قلت ذلك لقد كان الرجل من المسلمين يأتي السوق ما له فيها حاجة إلا أن يذكر الله تعالى في أقطارها حتى يرجع.

باب: الدعاء عند رؤية من فضلت عليه بعافية أو غيرها

لم نجد في الأصول الخمسة التي شرطنا فيما تقدم شيئاً يليق بهذه الترجمة فنقبل فيها ما يقوله السلف الصالح.

فروي عن عبد الله بن عمر أنه قال: من قال إذا رأى رجلاً به البلاء «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان»[٢].

وكان محمد بن علي لا يسمع المبتلي إلا استعاذ هو من البلاء.

وروي أن سفيان الثوري مر عليه رجل من الجند فجعل سفيان ينظر إليه ويقول: الحمد لله الذي كفاني وأواني، الحمد لله الذي منَّ علي، أسألك أن تجيرني من النار.

فقيل: يا أبا عبد الله لماذا تحمد ربك؟ فقال: يمر بكم المبتلى والزمن، فتسألون ربكم العافية، ويمر بكم هؤلاء فلا تسألونه العافية؟.

وقال سري بن المغلس: قال محمد بن المنكدر: جاء رجل مبتلًى فكلما صاح، صاح محمد، فقال له ابنه: هذا مبتلًى وأنت معافًى، فلم تصيح؟ فقال

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٩، والديلمي في مسنده ١/ ٤٥٧.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث ٣٨٩٢، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ١١٥، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥٤.

أصبح شكراً لله على العافية.

باب: الدعاء عند ما يجد من العين

وروى البخاري ومسلم وغيرهما أن رجلاً نظر رجلاً يغتسل عرياناً فقال: ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة، فوعك الرجل، فقال النبي ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه، ألا بركت أي ألا قلت: بارك الله عليك»؟[١]

وروي أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ رأى رجلاً محارفاً فخر لله ساجداً ـ أو قال ـ الحمد لله الذي لم تجعلني مثل زنيم.

وكان إذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

باب: الاستغفار

وروى مالك، والبخاري، وجماعة عن شداد بن أوس، وغيره عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت [أعوذ بك من شر ما صنعت] أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». من قالها حين يصبح موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل موقناً فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة[٢].

وروى أبو داود عن علي بن أبي طالب قال: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: حدثني أبو بكر: وصدق أبو بكر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يقوم فيستغفر الله إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ

(١) أخرجه مالك في العين حديث ١، ٢.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ١، والترمذي في الدعوات باب ١٥، والنسائي في الاستعاذة باب ٥٧، ٦٣، وأحمد في المسند ٤/ ١٢٢، ١٢٥.

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(١)] [آل عمران: ١٣٥]».

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين»[(٢)].

وروى الأغر المزني قال: قال النبي ﷺ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»[(٣)].

وروى البخاري: فقال: «أكثر من سبعين مرة»[(٤)].

والغين هو الغطاء، ومعناه يغطي ويلبس على قلبي، ويقال: هو كالغيم الرقيق الذي لا يكاد يحجب عين الشمس، ولا يدفع ضوءها، ولكن تغطي بعض التغطية.

وقال أبو عبد الله: معناه، أنه يخطر بقلبي فاستغفر الله مما خطر، وقال بعضهم: يتغشى القلب الغمام، فيستغفر الله عنه، ويقال: إن النبي ﷺ كان مشتغلاً بالذكر عن الطعام والشراب والأزواج والأولاد، ثم يعطف الله سبحانه عليه بروح الرضا، فيسلو حتى يرجع إلى طباع البشرية، فيأكل، ويشرب، ويطأ، فيصير هذا غيناً، أي حجاباً عن الحال الأولى.

وقال أبو علي الدقاق: كان النبي ﷺ أبدا في الترقي من أحواله، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة أعلى مما كان فيها رأى ما نقل عنه تقصيراً في حق الله سبحانه، فيراه غيناً يجب الاستغفار منه، فكانت أحواله أبداً في التزايد، ومقدورات الحق سبحانه من الألطاف لا نهاية لها، وإذا كان حق الله سبحانه

(١) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٦، والترمذي في الصلاة باب ١٨١، وتفسير سورة ٣، باب ١٤، وابن ماجه في الإقامة باب ١٩٣، وأحمد في المسند ١/ ٢، ٩، ١٠.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ٢٦، حديث ١٥١٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٨٨، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٤١، وأبو داود في الوتر باب ٢٦، والترمذي في تفسير سورة ٤٧، باب ١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٧، والدارمي في الرقاق باب ١٥، وأحمد في المسند ٢/ ٤٥، ٤/ ٢٦٠، ٥/ ٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣، والترمذي في تفسير سورة ٤٧، باب ١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٢، ٣٤١.

المعين، فالوصول إليه بالتحقيق محال، فالعبد أبداً في ارتقاء أحواله، فلا معنى يوصل إليه إلا وفى مقدور الله سبحانه ما هو فوقه يقدر أن يوصل إليه، وكان يستغفر الله من الحالة ابتداء، وعلى هذا يحمل قول بعض الأشياخ: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[(١)].

وفي معناه أنشدوا:

طــوارق أنــوار تــلــوح إذا بــدت فـتـظـهر كـتـمـانـاً وتـخـبر عـن جـمـع

وإلى نحو من هذا مال شيوخنا المحققون.

[وعن] الحارث بن أسد المحاسبي قال: يحدث الله في قلب نبيه ﷺ ما شاء ليكون ذلك قدوة لأمته.

وروي ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم»[(٢)].

وروى بلال بن يسار، مولى النبي ﷺ قال: سمعت أبي يحدث به عن جدي، أنه سمع النبي ﷺ، يقول: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف»[(٣)].

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل همٍّ فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[(٤)].

واعلم ـ أرشدك الله ـ أنه من أكثر الاستغفار فقد قرع باب الرزق، قال الله سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود: ٣].

(١) أخرجه علي القاري في الأسرار المرفوعة ١٨٦، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٢٨.
(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٥١٦، والترمذي حديث ٣٤٣٤، وابن ماجه حديث ٣٨١٤، وأحمد في المسند٢/ ٢١، ٥/ ٣٧١.
(٣) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٧٩، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٥٧، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٧٤، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٧/ ٤٦.
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥١، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٣٤٢، وأبو داود حديث ١٥١٨، وابن ماجه حديث ٣٨١٩.

قال المفسرون يعيشكم في أمن وسعة ولا يهلكهم ولا يبتليكم بالقحط.

وقال سبحانه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

وروى ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يعجبه أن يدعو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً»[١].

وروى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ: «لو لم تذنبوا لخلق الله عباداً يذنبون فيغفر لهم»[٢].

وروى النسائي عن النبي ﷺ أنه قال: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»[٣].

قال أبو الجوزاء: صحبت ابن عباس ثنتي عشرة سنة، فما بقي آية من كتاب الله سبحانه إلا سألته عنها، فما سمعت شيئا في كتاب الله ولا أحداً من العلماء ولا بلغه علمي أن الله قال: لا أغفر الذنب.

وروي أن النبي ﷺ قال في غزوة الحديبية وقد مشى في طريق وعر، ثم أفضى إلى سهل قال: قولوا: «نستغفر الله ونتوب إليه» ففعلوا فقال: «هي الخطة التي عرضت على بني إسرائيل» فلم يقربوها[٤].

وروى سليمان بن مهران، أن الشيطان لا يزال بالإنسان حتى يذنب، ثم لا يزال به الاستغفار حتى يغفر ذلك الذنب، وكل ذنب أذنبه فيقول الشيطان: وددت لو لم أفعل.

قال أبو العتاهية:

---

(١) أخرجه أبو داود حديث١٥٢٤، وأحمد في المسند١/ ٤٩٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ١٨٠٥٠، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٩٧.

(٢) أخرجه مسلم في التوبة حديث ١١، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٩، والهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢١٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث ٣٨١٨، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٤٦٨، والسيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٨٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٣٥٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ٣٩٥، والنسائي في عمل اليوم والليلة ١٤٧.

(٤) الحديث لم أجده في كتب الحديث التي بين يدي.

أستغفر الله من جرمي ومن خلقي ... إني وإن كنت مستوراً لخطاء
لم تبك نفسك أيام الحياة لما ... تخشى وأنت على الأموات بكاء

وقال وهب بن منبه: لقي إبليس اللعين يحيى بن زكريا، عليهما السلام، قال: أخبرني عن طبائع بني آدم عندكم، قال: صنف منهم معصوم مثلك لا نقدر منه على شيء، وصنف ثانٍ هم في أيدينا كالكرة بيد الصبيان، قد كفونا أنفسهم، وصنف ثالث هم أشد الأصناف علينا، نقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يسرع إلى الاستغفار فيفسد علينا عملنا وما أدركنا منه، فلا نحن نيأس منه، ولا ندرك منه ما نريد.

وقال يحيى بن معاذ: لقد أنعم عليك من إذا أدبرت عنه خمسين سنة صالحك باستغفار واحد.

وقال قتادة: القرآن يدلكم على دائكم وعلى دوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عجبت لمن يهلك والنجاة معه، قالوا: وما هي؟ قال: الاستغفار.

ومن عظيم محل الاستغفار وموقعه عند الباري سبحانه أن الله سبحانه أمر المفضول أن يستغفر لمن هو أفضل منه، فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] يعني الصحابة.

وسئل سفيان الثوري: أيستغفر لشارب الخمر؟ قال: شارب الخمر أحوج إلى الاستغفار من العابد.

وقال أبو هريرة: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، على قدر ذنبي.

فصل

فإن قال قائل: من أذنب ثم أقلع واستغفر بلسانه، وأصر بقلبه ولم يتب، هل أتى بالاستغفار الذي أمر الله به، ووعد غفران الذنوب عليه؟ فالجواب:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٥٢].

قال الفراء: وتوبوا إليه فيكون «ثم» بمعنى الواو، قال: لأن التوبة الاستغفار، والاستغفار توبة، ولا ينكشف الصواب فيه إلا مع إيضاح معنى التوبة، وإيضاح معنى الاستغفار.

وحقيقة التوبة في لسان العرب يقال: تاب، وثاب، وناب، وأناب، أي رجع، فالتوبة في الشرع: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الشرع.

وقال أرباب الأصوليين من أهل السنة: شرط التوبة ثلاثة أشياء:

الإقلاع عما هو متضمخ به، والخروج عنه، والندم على ما عمل من المخالفات، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها.

فإن اختل فيها ركن لم تصح توبته.

وما روى في الخبر: «الندم توبة»[1] إنما نص على معظمه، كما قال: «الحج عرفة»[2] أي معظم أركانه الوقوف بعرفة، وللحج أركان سوى الوقوف بعرفة.

وأما الاستغفار فأصله الستر، ومنه الغفر، والمغفرة، والغفارة، فالغفر: الشعر الذي يولد به ولد الأروية.

والمغفر غطاء الرأس من السلاح، والغفارة: خرقة تحت المغفر.

قولم: اللهم اغفر لي، معناه: استر عيوبي.

وقولهم: أستغفر الله، أي ستر الله ذنبي.

والاستغفار محله القلب، وحقيقة الاستغفار دعاء وطلب في غفران الذنب،

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث ٤٢٥٢، وأحمد في المسند ١/ ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٥٤، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٣.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك باب ٦٩، والترمذي حديث ٨٨٩، وابن ماجه حديث ٣٠١٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٥٢، ١٧٣.

وحقيقة التوبة: الرجوع.

وحينئذٍ يتبين لك صحة قول المسلمين: استغفار بلا إقلاع توبة الكذابين.

قالوا: ومن قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً، ولا يعلم.

وكانت رابعة العدوية تقول: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، يعني: أنَّا نستغفر باللسان دون تقديم التوبة وتصفية القلب والخروج عن المظالم.

وإذا ثبت أن التوبة رجوع عن الذنب فالمتعاطي للذنب والمصر عليه بعد الخروج منه، لعازم على أن يعود إليه كل واحد منهم مقيم على المعصية غير راجع عنها، فلا فائدة للاستغفار باللسان مع الإقامة على الذنب.

وقصارى الاستغفار أن يكون كالتوبة، وهو لو تاب بلسانه مع الإصرار على الذنب لم تصح توبته، كذلك الاستغفار، وهذا كالإيمان، من أسر الكفر وآمن بلسانه لم ينفعه إيمانه، والدليل على ذلك أن مدح الباري سبحانه لم يقع على المصرين، قال الله سبحانه: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فذم المصر، ومدح التائب فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فإن قيل: وما فائدة الاستغفار إذن؟.

قلنا: أما على مذهب الفراء، فالاستغفار فرض على العباد، لأنه نفس التوبة، وأما على المذهب الثاني الذي شرحناه ففائدته فائدة الدعاء، فإذا تاب العبد بقلبه، واستوفى شروط التوبة لم يجب على الله غفران ما تاب منه، لأنه لا يجب على الله تعالى شيء.

وأطبق علماؤنا على أنه ليس في أدلة السمع دليل قاطع بقبول التوبة إلا رجلين: أبي إسحاق الأيبني والمحاسبي، وكل آية في القرآن تؤذن بقبول التوبة فيها تأويلان:

أحدهما: أنه إنما وصف نفسه بأنه ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] و﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾ [التوبة: ١٠٤] وليس فيها أنه يفعل ذلك لا محالة، فافهموه ترشدوا.

والتأويل الثاني: أن تلك الآيات مطلقة، وقد شرط المشيئة في آية أخرى

فقال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ﴾ [التوبة: ٢٧] فقيدت تلك الآيات كلها بالمشيئة كما بيَّنا في قوله سبحانه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فإن ثبت المعنى بقوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ [التوبة: ١٥] أي يوفقه للتوبة.

قلنا: الظاهر يحتمل الأمرين، وهذا الاحتمال فراغ القطع بالقبول، فافهموه.

فحكمة الاستغفار: الدعاء إلى الله سبحانه في ستر الذنوب الت تبت منها وقبول توبتك عنها.

واعلموا أن هذا التقدير مفتاح للقضاء الوارد في الشرع، نحو قول النبي ﷺ للرجل الذي قال: يا رسول الله: خلوت بامرأة فأصبت منها ما يصيب الرجل من امرأته إلا الجماع، فقال النبي ﷺ: «أصليت معنا هذه الصلاة؟» قال: نعم، قال: «اذهب فإن الله قد غفر لك»[١].

فظاهره تعليق الغفران على فعل الصلاة، وذلك أن هذا الرجل وقع بذنب فلجأ إلى النبي ﷺ في أمره، فظاهره أنه تاب وندم، ولهذا استجار بالنبي ﷺ وكشف له من أموره ما يجب ستره، فكانت هذه الصلاة بعد توبته سبباً في غفرانه.

وعلى هذا المعنى يحمل كل ما ورد من غفران الخطايا معلقاً بالاستغفار وسائر الأذكار لأن الظاهر من كل مذنب يلجأ إلى الاستغفار أنه نادم بقلبه، فيكون فائدته أن من ندم ولم يستغفر أن ذلك في المشيئة، فإن استغفر غفر ذلك الذنب.

• باب: يشتمل على أدعية مقرونة بأسباب وأوقات

روى البخاري أن أم سليم قالت للنبي ﷺ: أنس خادمك، ادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته»[٢] فكثر ماله واحتوشه من ولده وولد ولده مائة وثلاثة عشر.

---

(١) أخرجه البخاري في المحاربين باب ٢٧، حديث ٦٨٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٤٧.

قال: وكان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء[١].

قال سفيان: للحديث ثلاث وأنا زدت واحدة، لا أدري أيتهن.

وروى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضِر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[٢].

وقال أنس: كنت أخدم النبي ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال»[٣].

قال: وكان سعد يأمر بخمس ويذكرهن عن النبي ﷺ أنه كان يأمر بهن: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر»[٤].

قال: وروت عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب».

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣٠، وأبو داود في الجنائز باب ٩، والترمذي في الجنائز باب ٣، وابن ماجه في الزهد باب ٣١، والنسائي في الجنائز باب ١، وأحمد في المسند ٣/ ١٠١، ١٠٤، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٧، ٢٨١.

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٧٤، والأطعمة باب ٢٨، والدعوات باب ٣٦، ٤٠، وأبو داود في الوتر باب ٣٢، والترمذي في الدعوات باب ٧٠، والنسائي في الاستعاذة باب ٧، ٨، ٢٥، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٩، ٢٢٠، ٢٢٦، ٢٤٠.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣٥، ٣٧، ومسلم في الذكر حديث ٥١، ٥٢، ٧٣، وأبو داود في الوتر باب ٣٢، والترمذي في الدعوات باب ٧٠، ١٠٩، ١١٣.

وفي رواية أخرى: المغرب والمشرق، وفي رواية أخرى: اللهم اغسل قلبي. . .،[(١)] وساق الحديث.

قال: وروى ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا قفل من غزو، أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[(٢)].

وروى أبو موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذه الدعوات: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وجدي، وهزلي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»[(٣)].

وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من خمس: من الجبن والبخل وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر[(٤)].

قال: روى أبو هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الفقر، والقلة، والذلة، وأعوذ بك من أن أَظلم، أو أُظلم»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ٧٤، والدعوات باب ٣٦، ٣٨، ٤٢، ٤٤، ومسلم في الدعوات حديث ٤٨ ـ ٥٢، وأبو داود في الوتر باب ٣٢، والترمذي في الدعوات باب ٧٠، ٧٦، ١١٥.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٥٣، ومسلم في الحج حديث ٤٢٥، ٤٢٨، ٤٢٩، وأبو داود في الجهاد باب ٧٢، ومالك في الحج حديث ٢٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦١، ومسلم في الإيمان حديث ٣٦٥، والذكر حديث ٧٠، وأحمد في المسند ٤/ ٤١٧، ٥/ ٣٧٠، ٦/ ٩٣.

(٤) أخرجه أبو داود في الدعاء باب ١٠، والنسائي في الاستعاذة باب ٦، ٢٧، ٤٠، ٤٩، وأحمد في المسند ١/ ٢٢.

(٥) أخرجه النسائي في الاستعاذة باب ١٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٥٤، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٤٠.

قال: وروى ابن عمر قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»[١].

قال: وروى أبو هريرة أن رسول الله - ﷺ - كان يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق، وسوء الأخلاق» وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة، فإنها بئست البطانة»[٢].

قال: وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع»[٣].

وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع»[٤].

قال: وقالت عائشة - رضي الله عنها - كان النبي - ﷺ - يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شر ما لم أعمل»[٥].

قال: وروى سهل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله علمني دعاء، قال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر - قال - قبري»[٦].

قال: وروى أبو اليسر أن النبي - ﷺ - كان يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، ومن الغرق، والحرق، والعمى، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً،

---

(١) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣١، والتبريزي في مشكاة المصابيح ٢٤٦١.

(٢) أخرجه النسائي ٨/ ٢٦٤، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٩/ ٣٨٢، والمنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٤١٣.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٣، وابن ماجه حديث ٣٨٣٧، وأحمد في المسند٢/ ٣٤٠، ٣٦٥، ٤٥١، والحاكم في المستدرك ١/ ١٠٤.

(٤) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٤، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٧.

(٥) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٥، وابن ماجه حديث ٣٨٣٩، ٣٨٤٠، وأحمد في المسند ٦/ ٣١، ١٠٠، ٢١٣، ٢٣٩، ٢٥٧، ٢٧٨، ٣١٠، ٣١٥.

(٦) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٦، والترمذي حديث ٣٤٩٢، وأحمد في المسند ٣/ ٤٢٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٢.

وأعوذ بك أن أموت لديغاً»(١).

قال: وروى أنس أن النبي - ﷺ - كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجذام، والجنون، ومن سيىء الأسقام»(٢).

وروى أوس بن [أبي] أوس قال: قال النبي ﷺ: «إنه من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ» قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ [قال] يقولون: بليت، قال: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء - عليهم السلام»(٣).

قال: روى أبو هريرة: أن النبي ﷺ قال: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً»(٤).

قال: وروى ابن عباس قال: كان النبي - ﷺ - يقول: «ربِّ أعنِّي ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر علي، ويسر هداك إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، واجعلني شاكراً لك، ذاكراً لك، مطاوعاً لك، راهباً لك، مخبتاً ومنيباً، ربِّ تقبل نوبتي، واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبِّت حجتي، واهد قلبي، وسدِّد لساني، وأذهب سخيمة قلبي»(٥).

باب: كيف يدعى للمشركين

وروى البخاري في صحيحه قال: قالوا: يا رسول الله، إن دوساً عصت

(١) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٧، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٤، والمتقي الهندي في كنز العمال ٣٦٧٠.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ١٥٥٩، والبغوي في شرح السنة ٥/ ١٧٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٣٠.

(٣) أخرجه أبو داود في الجمعة باب ١، والدعاء باب ٤، وابن ماجه حديث ١٠٨٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، وأحمد في المسند ٤/ ٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٢٤٩.

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة حديث ٧٠، وأحمد في المسند٢/ ٣٧٢، ٤٨٥، وأبو داود حديث ١٥٣٠، والبغوي في شرح السنة ٥/ ٢٧٥.

(٥) أخرجه أبو داود حديث ١٥١٠، ١٥١١، والترمذي حديث ٣٥٥١، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٢٨٠.

على الإسلام، أفندعو الله عليها؟ فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بها»[١].

وروى أن أبا القاسم الجنيد كان جالساً على شاطئ دجلة يذكر الله ـ عز وجل ـ فإذا زورق في الماء فيه بعض الملاهي، فقيل له: ادع الله عليهم فقال: اللهم فرِّحهم في الآخرة كما فرحتهم في الدنيا برحمتك.

باب: ما جاء في ذكر الله عز وجل

اعلموا ـ أرشدكم ـ أن الذكر هو العمدة في الطريق إلى الله ـ سبحانه ـ ولا يصل أحد إلى الحق ـ سبحانه ـ إلا بدوام الذكر.

والذكر على ضربين:

ذكر اللسان، وذكر القلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى ذكر القلب، والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه.

والذكر المطلوب من العباد هو ذكر القلب، قالت عائشة رضي الله عنها: لأن أذكر الله، تعالى، بقلبي أحب إليَّ من أن أذكره بلساني، ذلك أن بشراً لا يسمعها، وأن ملكاً لا يكتبها.

والذكر الثالث فرض، وهو ذكر الله، سبحانه، عند ما حرم، وهو الصفا الزلال الذي لا تثبت عليه قدم، كما روي في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار أن أحدهم قال: «فلما قعدت بين رجليها ذكرتك، أي ربِّ، فقمت عنها ولم آخذ المئة دينار»[٢].

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] والذكر ههنا التوبة.

وليس يتوهم لمريد حال أعلى من الذكر، وكيف لا؟ وقد جعل الله ـ سبحانه ـ جزاء ذكر [العبد للحق ذكر] الحق للعبد، قال الله سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب ١٠٠، والمغازي باب ٧٥، والدعوات باب ٥٩، ومسلم في فضائل الصحابة حديث ١٩٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢.

(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.

أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

قال أهل التفسير: ﴿كَثِيرًا﴾ أي خالصاً، لأنه قابل به ذكر المنافقين، فقال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] وقد كانوا يذكرون الله في الظاهر، غير أنهم لما لم يخلصوا كان قليلاً.

وقال ابن عباس في قوله سبحانه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] أي: ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه، في الصلاة وغيرها.

وروى البخاري وغيره عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يذكر الله، والذي لا يذكره، مثل الحي والميت»[1].

قال: وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون بالطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله ـ سبحانه ـ قالوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادي؟.

قال: فيقولون: يسبحونك، ويحمدونك، ويكبرونك، ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأوني؟.

قال: فيقولون: لا.

قال: فيقول: ما يسألون؟.

قال: فيقولون: يسألونك الجنة.

قال: فيقول: هل رأوها؟.

قال: فيقولون: لا، والله ما رأوها.

قال: فيقول: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد طلباً، وأعظم فيها رغبة.

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦٦، ومسلم في المسافرين حديث ٢١١.

قال: فمم يتعوذون؟.

قال: يتعوذون من النار.

قال: فيقول: وهل رأوها؟.

قال: يقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها.

قال: فيقول: فكيف لو أنهم رأوها، كانوا أشد منها فراراً وأشد مخافة.

قال: فيقول: اشهدوا أني قد غفرت لهم.

قال: فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة.

قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم(١).

قال: وهكذا تغمر بركات الصالحين من صحبهم، وجالسهم، وقرب منهم، فصحبتهم توصلهم إلى منازلهم، قال الله سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ [لقمان: ١٥].

وقد لحقت الكلاب بركة صحبتهم، قال الله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨] فذكره معهم، فتلى ذكره في المحراب.

وروي في صحيح مسلم قال: «مر النبي - ﷺ - في طريق مكة فمر على جبل يقال له: جُمْدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفردون.

قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟.

قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات(٢).

معناه ـ حط الذكر عنهم أوزارهم، فوردوا يوم القيامة خفافاً.

وروي عن أبي هريرة: من اضطجع مضجعاً لم يذكر الله ـ سبحانه ـ فيه كان عليه ترة يوم القيامة.

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٦٦، والترمذي في الدعوات باب ١٢٩، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥١، والبغوي في شرح السنة ٥/ ١١.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر حديث ٤، والترمذي حديث ٣٥٩٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٣، ٤١١، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٥.

ورواه النسائي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فلم يذكر فيه يوم القيامة، وزاد: وما مشى ممشًى لم يذكر الله فيه إلا كانَ عليه ترة»[(١)].

وروى مالك والجماعة أن النبي - ﷺ - كان يخطب يوم الجمعة، ويسند ظهره إلى خشبة، فلما كثر الناس قال: «ابنوا لي منبراً، فبنوا له منبراً، فتحول من الخشية إلى المنبر، فحنت - والله الخشبة حنين الواله، وأنا، والله، في المسجد أسمع ذلك، والله ما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ فمشى إليها فاحتضنها، فسكنت، فبكى وقال: يا معشر المسلمين، الخشب حن إلى رسول الله - ﷺ - شوقاً إليه وإلى الذكر، أو ليس الرجال الذين يرجون لقاءه أحق بذلك»؟[(٢)].

وروى مالك عن أبي الدرداء، وأسند غيره قال: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى، قال: «ذكر الله - عز وجل»[(٣)].

وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [يقول الله عز وجل] أنا عند ظن عبدي بي،وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملئه، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني مشياً أتيته هرولة»[(٤)].

فإن قيل: اذكر من أقسام الكلام، وكلام الله - سبحانه - عندكم قديم، وقوله: «إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملئه».

والذكر يقتضي أقسام الكلام، وتكريره وتنوعه على حسب نوع الذكر، تارة إلى السر، وتارة إلى العلانية، وذلك من سمات البشر.

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ١٣٥ - ١٣٦.
(٢) تقدم الحديث مع تخريجه.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٩، ٦/ ٤٤، ٤٤٧.
(٤) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ٥٠، ومسلم في التوبة حديث ١، والذكر حديث ١، ٢٠ - ٢٢، والترمذي في الدعاء باب ١٣١، وابن ماجه في الأدب باب ٥٨.

فالجواب: أن معنى «ذكرته في ملإ» أي أفهمتهم وأسمعتهم بأن خلقت لهم إدراكاً لذكري، ومعنى قوله: «في نفسي» ألا أخلق لأحد من الخلق سماعاً له، ويحتمل أن يريد بالذكر حكم الذكر، أي ذكرته بالرحمة والغفران، وبالسعة في الدنيا، وبما شئت مما في خزائني، فتارة أعلم الملائكة بما يفعله وهو عند ذكر العلانية، وتارة أخصه بذكر دون أن يعلمه أحد.

وروى مالك بن معاذ أن معاذ بن جبل قال: [قال رسول الله ﷺ]: «ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله»[(١)].

قال: وإن خير الأعمال وأقربها إلى الله أن تموت ولسانك رطب بذكر الله.

وروى مالك عن أبي هريرة، وأبي سعيد: «ما جلس قوم يذكرون الله، سبحانه، إلا حفتهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[(٢)].

وفي الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - «يقول الله سبحانه: إذا شغل عبدي ثناؤه عليَّ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[(٣)] وقد تقدم شرحه.

وروى أنس: لأن أجلس مع قوم يذكرون الله - سبحانه - من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إليَّ ما طلعت عليه الشمس وكان أنس إذا حدَّث هذا الحديث قال الواقدي: والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك لأنكم قوم تتحلقون الحلق، وتتعلمون القرآن والفقه.

وهذا معنى صحيح كما روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: لا يزال الفقيه يصلي، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لا تلقاه إلا وذكر الله على لسانه يحل حلاله ويحرم حرامه.

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٧٣، ٧٤، ٧/ ٧٣، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٥٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٩٦.

(٢) أخرجه أبو داود في الوتر باب ١٤، والترمذي في القرآن باب ١٠، وابن ماجه في المدينة باب ١٧، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٢، ٤٠٧، ٤٤٧.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤٦٤.

وقد ظفرت بهذا المعنى في كتاب الله المهيمن، قال لهارون وموسى، عليهما السلام، لما بعثهما إلى فرعون: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢] فسمى تبليغ الرسالة ﴿ذِكْرِي﴾ فعلى هذا يتحقق أن حلق العلم وما يتحاورون به، ويتراجعون من سؤال وجواب أنها حلق الذكر [وحلق] أهل الذكر.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣] يعني أهل العلم والفقه.

فإن قيل: قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فاطمأنوا بإيمانهم من غوائل الكفر [و] إذا ذكروا بالله من امتثال الأوامر، والانتهاء عن الزواجر، وما ينوب الأعمال من الآفات، خافوا من التقصير فيها، ولحوق الوعيد بهم، وهو الوجل والشقاء، فمما احتوته هذه الترجمة من الأذكار أن يعلم أن الذكر ينقسم إلى وجوه كثيرة تنتهي إلى ثمانية عشر وجهاً:

فالذكر بمعنى الحفظ، قال تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] وقوله: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٦٣].

والذكر بمعنى الطاعة، ومنه قوله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي أطيعوني أثبكم.

والذكر بالقلب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] يعني بقلوبهم.

وللذكر بمعنى الصلاة، قال الله سبحانه: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] يعني الجمعة.

والذكر من مخلوق لمخلوق في قوله سبحانه: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] و﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [مريم: ١٦] ونحوه.

والذكر بمعنى البيان في قوله سبحانه: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن﴾ [الأعراف: ٦٣].

والذكر بمعنى القرآن، قال الله سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠﴾ [الأنبياء: ٥٠].

والذكر بمعنى النبي ﷺ، قال الله سبحانه: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

والذكر بمعنى التوراة، قال الله سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣] يعني أهل التوراة.

والذكر بمعنى اللوح المحفوظ، قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والذكر بمعنى الخبر، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ [الأنبياء: ٢٤] وقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾ [الكهف: ٨٣] أي خبراً.

والذكر بمعنى الشرف، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] يعني: شرفاً.

وقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] أي شرفكم.

والذكر بمعنى الصلوات الخمس، قال الله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وقوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

وقوله: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص: ٣٢] يعني صلاة العصر.

والذكر بمعنى الوحي، قال الله سبحانه: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨].

والذكر بمعنى الوعظ، قال الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ١٦٥] أي ما وعظوا به.

وقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

والذكر بمعنى اللسان، قال الله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة:

١٩٨] وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

والذكر بمعنى تبليغ الرسالة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [طه: ٤٢] أي في تبليغ رسالتي إلى فرعون.

والذكر بمعنى الإيمان، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

وإذا وقفت على هذه الجملة لم يخف عليك تنزيل الأذكار على مراتبها.

وإذا ثبت هذا فنعود الآن إلى معنى الذكر الذي يعم الخلائق، وهو بستان العارفين، وسلوة المشتاقين، وهو الذكر الدائر بين القلب واللسان، الذي يناط به علو الدرجات، وحيازة الحسنات، وتكفير السيئات على ما بيَّنا من أول هذا الكتاب إلى خاتمته.

فقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إذا طهرت القلوب من المعاصي لم تشبع من ذكر الله.

ودوام ذكر الله في القلب هو أعظم الذكر وأشرفه، ثم يليه الذكر باللسان حتى لا تتخلله فترة، ولا تتغشاه غفلة، وهو مقام الملائكة ـ عليهم السلام ـ قال الله ـ سبحانه ـ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠].

وعن هذا قال الشبلي: سهو عن الله طرفة عين لأهل القرآن شرك بالله تعالى.

ويقال في قول الله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾.[الشعراء: ٢٢٧]: ليس الكثرة بالعدد، وإنما هو الحضور والمراقبة دون الغفلة، فلا يفتر القلب عن المشاهدة ـ كما قالوا:

الله يعلم أني لست أنساه ... وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال فارس: سألت ذا النون عن الذكر فقال: غيبة الذاكر عن الذكر، وأنشد:

لا، لأني أنساك أكثر ذكرا ... ك ولكن بذاك يجري لساني

وفي معناه قيل:

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكرا ولكن نسيم القرب أبدى وأظهرا

وكان الكتاني يقول: لولا أن ذكره فرض عليَّ لما ذكرته إجلالاً له، مثلي يذكره، ولم يغسل فمه بألف توبة متقبلة.

وكان سهل يقول: لو علم اللسان من يذكر لجف في الحنك.

وكان الأستاذ أبو علي الدقاق ينشد:

ما إن ذكرتك إلا جن [من وله] قلبي وسري وروحي عند ذكراك
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكار إياك

وكان أبو بكر الشبلي يقول: أليس الله ـ سبحانه ـ يقول: «أنا جليس من ذكرني» فما الذي استفدتم من مجالسة الحق سبحانه؟.

وكان كثيراً ما ينشد:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما رآني القلب أنك حاضري حمدتك موجوداً بكل مكان
فخطابت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان

قال الأستاذ أبو علي: الذكر ميسور الولاية، فمن وفق للذكر فقد أعطى الميسور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

كان الشبلي في ابتداء أمره ينزل في سرب ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان، وكان إذا دخل قلبه غفلة ضرب نفسه بتلك القضبان حتى يكسرها، وربما نسي الحزمة قبل أن يمشي فيضرب بيديه ورجليه على الحائط.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا، فقيل: يا رسول الله وما رياض الجنة»[1].

ومن خصائص الذكر وفضائله أنه غير مؤقت، فما من وقت إلا والعبد

(١) تقدم الحديث مع تخريجه.

مأمور فيه بذكر الله، إما فرضاً، وإما ندباً، قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

ألا ترى أن الصلوات من أفضل الطاعات وقد حرمت في بعض الساعات؟.

ومن خصائصه أنه جعل في مقابلته الذكر، قال الله سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الخبر أن جبريل ـ عليه السلام ـ قال للنبي ﷺ: «إن الله يقول: أعطيت أمتك ما لم أعطه أمة من الأمم، فقال: وما ذاك يا جبريل؟.

قال قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ لم يقل هذه لأحد من الأمم.

وسأل الشيخ أبو عبد الرحمن الأستاذ أبا علي فقال: الذكر أتم أم الفكر؟.

فقال له الأستاذ: ما تقول أنت؟.

قال: الذي عندي أن الذكر أتم من الفكر.

قال: من أين قلت؟.

قال: لأن الله ـ سبحانه ـ يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر، فاستحسنه أبو علي.

وقال معاذ بن جبل: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها.

وكان ثابت البناني يقول: إني لأعلم حين يذكرني فأرتع، قالوا: ومن أين تعلمه؟.

قال: إذا ذكرته ذكرني.

وقال أبو هريرة: إن أهل الجنة ليتراءون بيوت أهل الأرض، ما كان يذكر فيها اسم الله ـ سبحانه ـ كما تتراءون النجوم في السماء، بقدر ما يذكر الرجل، فكذلك يرونه[1].

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في بدء الخلق باب ٨، والرقاق باب ٥١، ومسلم في الجنة حديث ١٠، ١١، والترمذي في الجنة باب ١٩، والدارمي في الرقاق باب ١٠٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٥، ٣٣٩، ٥/ ٣٤٠.

وقال عطاء: إن الصاعقة لا تصيب ذاكر الله سبحانه.

وقال ابن مسعود: إن الجبل يقول للجبل: يا فلان هل مر بك ذكر الله تعالى؟ فإن قال: نعم، سر به، ثم قرأ عبد الله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١] وقال: أراها تسمع الزور ولا تُسمع الخير؟.

وقال أنس بن مالك: ما من صبح ولا رواح إلا تنادي بقاع الأرض بعضها بعضاً، يا جارة! هل مر بك اليوم عبد يصلي أو يذكر الله؟ فمن قائلة: لا، ومن قائلة: نعم، فإذا قالت: نعم، رأت لها بذلك فضلاً.

وقال: إذا اجتمع قوم يذكرون الله ـ سبحانه ـ اعتزل الشيطان فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين إلى ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم فلو تفرقوا أخذت بأعناقهم.

وقال رجل للحسن: أشكو إليك قساوة قلبي، قال: أذْنه من مجالس الذكر.

وسئل رجاء بن حيوة: عن قساوة القلب، فقال: أدم الذكر.

وقال كعب الأحبار: حصن المؤمنين من الشيطان: تلاوة ذكر الله، سبحانه، وقراءة القرآن، والمسجد.

وقال الضحاك بن قيس: طلبت العبادة في كل شيء فلم أجدها في شيء أفضل منها في مجالسة أهل الذكر.

وقيل لأبي عثمان: إنا نذكر الله ـ سبحانه ـ ولا نجد حلاوة، فقال: احمدوا الله على أن زين جارحة من جوارحكم بطاعته.

وروى الحسين بن سمان عن أبي مسلم الخولاني أنه دخل المسجد فرأى نفراً اجتمعوا حلقاً، فرجا أن يكونوا على خير وعلى ذكر، فإذا بعضهم يقول: قدم لي غلام فأصاب كذا وكذا.

وقال آخر: أنا جهزت غلامي! فنظر إليهم فقال: سبحان الله، هل تدرون ما مثلي ومثلكم؟ كرجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين،

فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر، فدخل فرأى بيتاً لا سقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على خير، وعلى ذكر، فإذا أنتم أصحاب دنيا، وقام عنهم.

باب: الدعاء للميت في الصلاة عليه

اعلموا ـ أرشدكم ـ أن كتاب الموطأ والبخاري ومسلم، خالية عن شيء معين يدعى به للميت، ولا فيها قراءة قرآن في الصلاة عليه، وإنما فيها عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، قال: استغفروا لأخيكم، وصف بهم في المصلى، وكبَّر أربعاً[١].

دلنا هذا الأثر على أن موضوع الصلاة على الميت، الدعاء له، والاستغفار له.

وروى البخاري، وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله بن عوف قال: صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة الكتاب فقال: تعلموا أنها سنة.

فهذا ما اشتمل عليه الصحيح.

وروى أبو داود، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صليتم على الميت فأخلصوا له بالدعاء»[٢].

وروى أبو هريرة أن النبي ـ ﷺ ـ قال في صلاته على الجنازة: «اللهم أنت ربها، وأنت خاصتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسريرتها، وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب ٤، ٥، ٦١، ٦٥، ومناقب الأنصار باب ٣٨، ومسلم في الجنائز حديث ٦٣، ٦٤، وأبو داود في الجنائز، باب ٥٨، والنسائي في الجنائز، باب ٢٧، ٧٢، ٧٦، ١٠٣، ومالك في الجنائز حديث ١٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨١، ٤٣٨، ٤٣٩.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ٣١٩٩، وابن ماجه حديث ١٤٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٤٠، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٦٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود حديث ٣٢٠٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٥، ٣٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٤٢.

وروى أبو هريرة أن النبي ﷺ صلى على جنازة فقال: «اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من توفيته منا فتوفه على الإسلام، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»[١].

قال: وروى واثلة بن الأسقع قال: صلى بنا النبي - ﷺ - على رجل من المسلمين، فسمعته يقول: «اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك - زاد غيْره من الرواة - وظل جوارك، ثم اتفقا - فقه فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم فاغفر له، وارحمه؛ فإنك أنت الغفور الرحيم»[٢].

فهذا ما أردنا أن نمليه في معرفة اسم الله الأعظم، وما في معناه من سائر الأدعية.

وأنا أضرع إلى الله - سبحانه - في أن يتغمد زللنا، ويغفر خطايانا، وأسأله أن يتجاوز عنا ما تعمدنا، وما أخطأنا.

وأنا بريء مما وقع فيه من التصحيف والغلط، والخير [أردت] ووجه الله قصدت.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

---

(١) أخرجه أبو داود حديث ٣٢٠١، والترمذي حديث ١٠٢٤، وابن ماجه حديث ١٤٩٨، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٨، ٤/ ١٧٠، ٥/ ٤١٢.

(٢) أخرجه أبو داود حديث ٣٢٠٢، والتبريزي في مشكاة المصابيح ١٦٧٧، وابن ماجه حديث ١٤٩٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٥٢.

المحتويات

٥٠



الدعاء المأثور وآدابه

وما يجب على الداعي اتباعه واجتنابه



دار الكتب العلمية

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة

هاتف وفاكس: ٣٧٨٥٤٢ - ٣٦٦١٣٥ ١ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧
http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

ISBN 2-7451-3549-X
90000 >
9 782745 135490

طبع في مطابع دار الكتب العلمية